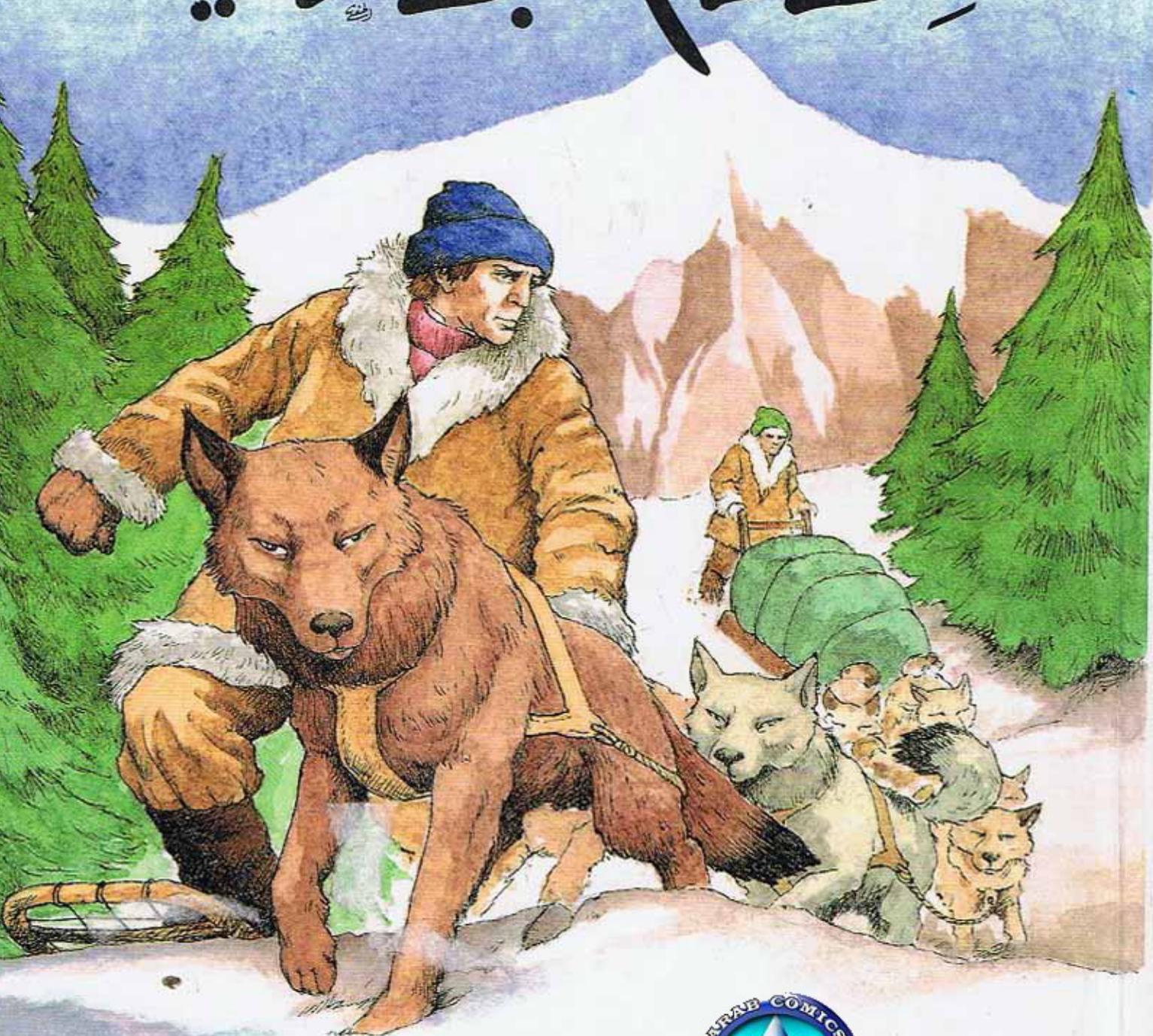


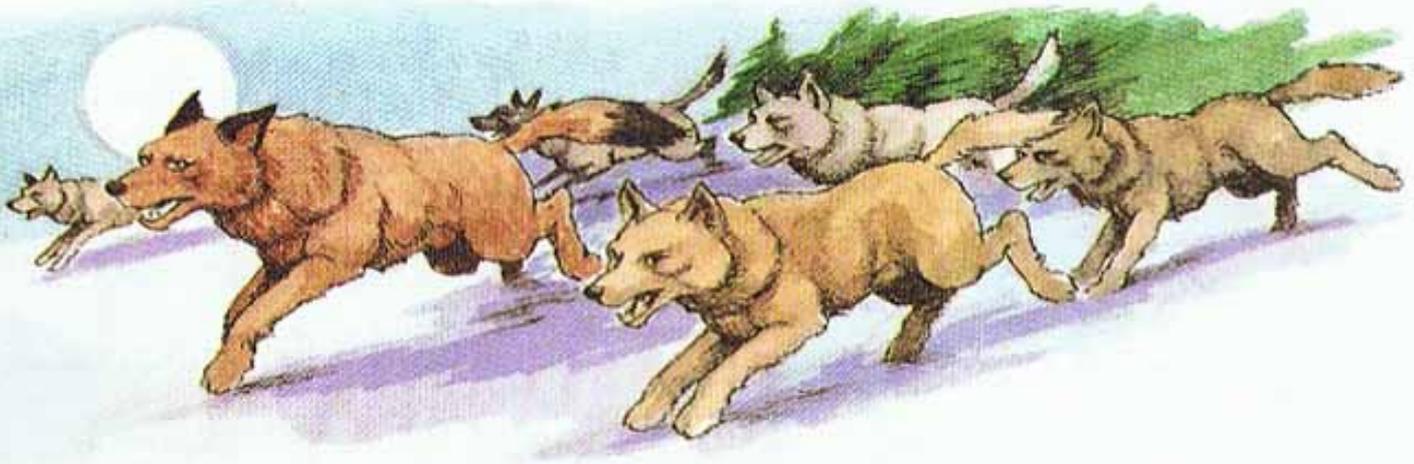


نِنداءُ الكِبَرِيَّةِ



كتب الفراشة - القصص العالمية

نِداءُ البراري



تأليف: جاك لنْدن
نقلها إلى العربية: وجدي رزق غالي



مكتبة لبنان ناشرون

مَكْتَبَةُ لَبْنَانَ نَاشِرُونَ شَرِكَةٌ

زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٢-١١

بَيرُوت - لَبْنَانَ

وُكَلَاءَ وَمُوزَعُونَ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ

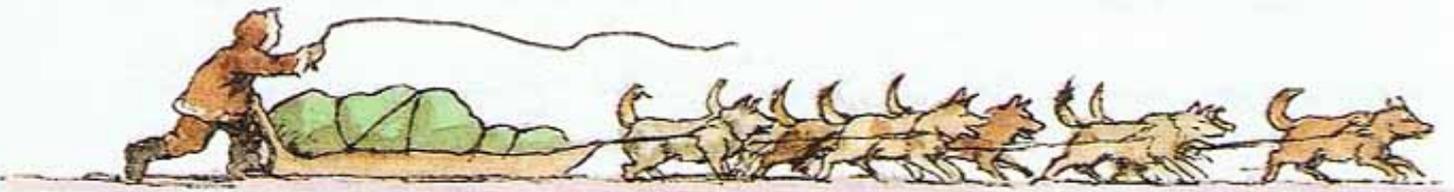
© الحُقوقُ الكَامِلَةُ مَحْفُوظَةٌ

لِمَكْتَبَةِ لَبْنَانَ نَاشِرُونَ شَرِكَةٌ

الطَبْعَةُ الْأُولَى ١٩٩٤

رَقْمُ الْكُتَابِ 01 C 196803

طُبِعَ فِي لَبْنَانَ



قصة

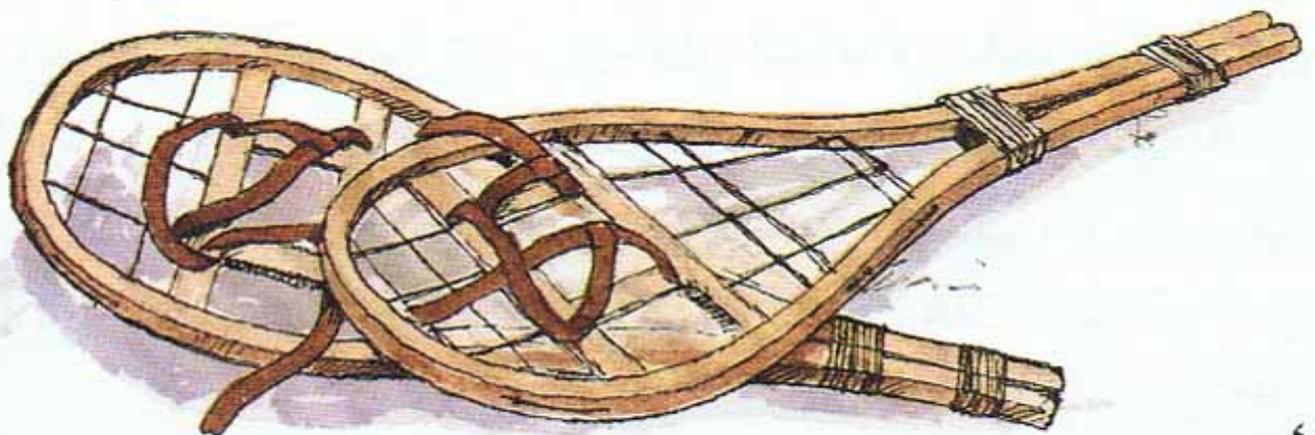
« نداء البراري » هي رواية جاك لندن الأولى ، وَقَدْ نُشِرَتْ فِي عام ١٩٠٣ وَحَقَّقَتْ نَجَاحًا عَالَمِيًّا بَاهِرًا ، وَبِذَلِكَ حَقَّقَتْ لِوُلُفِهَا الشَّابِّ مَكَانَةً بِصِفَتِهِ وَاحِدًا مِنْ أَكْثَرِ الْمُؤَلِّفِينَ شُهْرَةً عَلَى مَدَى العُصُورِ .

وَتَقُومُ القِصَّةُ عَلَى تَجْرِبَةٍ جَاك لَنْدَنِ الشَّخْصِيَّةِ فِي مَنَاطِقِ القِفَارِ المُتَجَمِّدَةِ بِشَمَالِ كَنْدَا ، حِينَ حَاوَلَ تَحْقِيقَ الثَّرَاءِ وَالفِرَارِ مِنْ حَيَاةِ العَمَالِ المُضْنِيَّةِ ، شَانُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ آلاَفِ الأَشْخَاصِ الأَخْرَيْنِ ، الَّذِينَ تَدَفَّقُوا عَلَى مِنطَقَةِ كَلُونْدِيكِ بَحْثًا عَنِ الذَّهَبِ . وَقَدْ وَاوَأَتْ هَذِهِ البِقَاعُ ذَاتُ الطَّابَعِ العُدْوَانِيِّ أَهْدَافَ القِصَّةِ تَمَامًا ؛ ففِي أَرْجَاءِ تِلْكَ المِيسَاحَاتِ الخَاوِيَةِ القَاسِيَةِ تَتَّجِهُ كُلُّ الجُهُودِ نَحْوَ المُحَافَظَةِ عَلَى البَقَاءِ ، وَيَكُونُ أَهْمُهُ مَا يُمَيِّزُ هَذِهِ الجُهُودَ هُوَ مَدَى الاقْتِصَادِ الفَعَالِ لِلطَّاقَةِ البَدَنِيَّةِ وَالجُهْدِ جَنبًا إِلَى جَنبٍ مَعَ سُرْعَةِ البَدِيهَةِ . وَيَنْطَبِقُ هَذَا عَلَى الأَفْرَادِ وَالكِلَابِ مَعًا ، حَيْثُ يَحْتَاجُ كِلَا الطَّرْفَيْنِ إِلَى تَبَادُلِ الوُدِّ وَالاِحْتِرَامِ لِضَمَانِ مُجَرِّدِ البَقَاءِ عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ . وَنَحْنُ إِذْ نَجُوسٌ خِلَالَ هَذِهِ البِقَاعِ الكَثِيَّةِ ، وَفِي صُحْبَةِ أَشْخَاصٍ تَخْتَلِفُ دَوَائِعُهُمْ وَطَبَائِعُهُمْ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ ، نَرَى أَفْضَلَ وَأَسْوَأَ مَا فِي الطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ . وَتَدُورُ أَحْدَاثُ هَذِهِ القِصَّةِ حَوْلَ الكَلْبِ بَكِ الَّذِي انْتَزَعَ مِنْ رَفَاهِيَّةِ المَدِينَةِ فِي مَنْزِلِ القَاضِي بِكَاليفُورْنِيَا ثُمَّ دُفِعَ بِهِ إِلَى ذَلِكَ العَالَمِ الوَحْشِيِّ لِتِجَارَةِ الكِلَابِ ، إِلا أَنَّهُ - عَلَى الأَقْلِ - كَانَ مَحْظُوظًا ؛ حَيْثُ عَمِلَ ضِمْنَ فَرِيقِ لِكِلَابٍ وَتَحْتَ مُرَاقَبَةِ أَعْيُنِ خَبِيرَةٍ

وَأَيْدٍ مُدْرَبَةٍ ؛ مِمَّا أَتَاكَ لَهُ أَنْ يَتَخَطَى - فِيمَا بَعْدَ - تِلْكَ الْعَوَاقِبَ الْمَشْتُومَةَ الَّتِي
تَعْرَضُ لَهَا نَتِيجَةُ لِبَطَاعِ الْمَلَائِكِ وَجَهْلِهِمْ ، إِلَى جَانِبِ عَدَمِ خِبْرَتِهِمْ . وَهَذَا
الْمَزِيجُ مِنَ الْوُدِّ وَالْوَحْشِيَّةِ الَّذِي يَظْهَرُ بَيْنَ شَخْصِيَّاتِ الْكِتَابِ ، فِي النَّوَاحِي الْإِنْسَانِيَّةِ ،
يَبْدُو أَيْضًا بَيْنَ الْكِلَابِ ؛ حَيْثُ يُشَكَّلُ كِفَاحُهَا مِنْ أَجْلِ السَّيْطَرَةِ ، وَكَذَلِكَ
يُشَكَّلُ كِبْرِيَاؤُهَا وَعَوَاطِفُهَا نَوْعًا مِنَ النَّسِيجِ الْمُتَشَابِكِ لِلْعَلَاقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ .

وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْوَاقِعَ الْمَرِيرَ لِلصَّرَاعِ مِنْ أَجْلِ الْحَيَاةِ مُفْجِعًا فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ
وَالْحَيَوَانَ عَلَى السَّوَاءِ ، مِمَّا جَعَلَ بَكَ يُدْرِكُ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ تِلْكَ الْخَصَائِصَ الَّتِي
تَتَطَلَّبُهَا الظُّرُوفُ . وَهَكَذَا انْجَذَبَ إِلَى الْعِرَاكِ الْوَحْشِيِّ . وَتَوَكَّدُ نِهَآيَةَ الرَّوَايَةِ أَنَّ الْبَرِيَّةَ
تُقَدِّمُ الْبَدِيلَ الْوَحِيدَ الْمَخْلَصَ لِلْوُجُودِ الْقَاسِيِ الْمُسْتَعْلِ الَّذِي عَاصَرَهُ بَكَ فِي صُحْبَةِ
الْبَشَرِ ، حَيْثُ تُقَابَلُ الْمَحَبَّةُ الْبَرِيَّةُ - إِنْ وُجِدَتْ - بِنَوْعٍ مِنَ الْقَسْوَةِ الْمَحِيطَةِ .

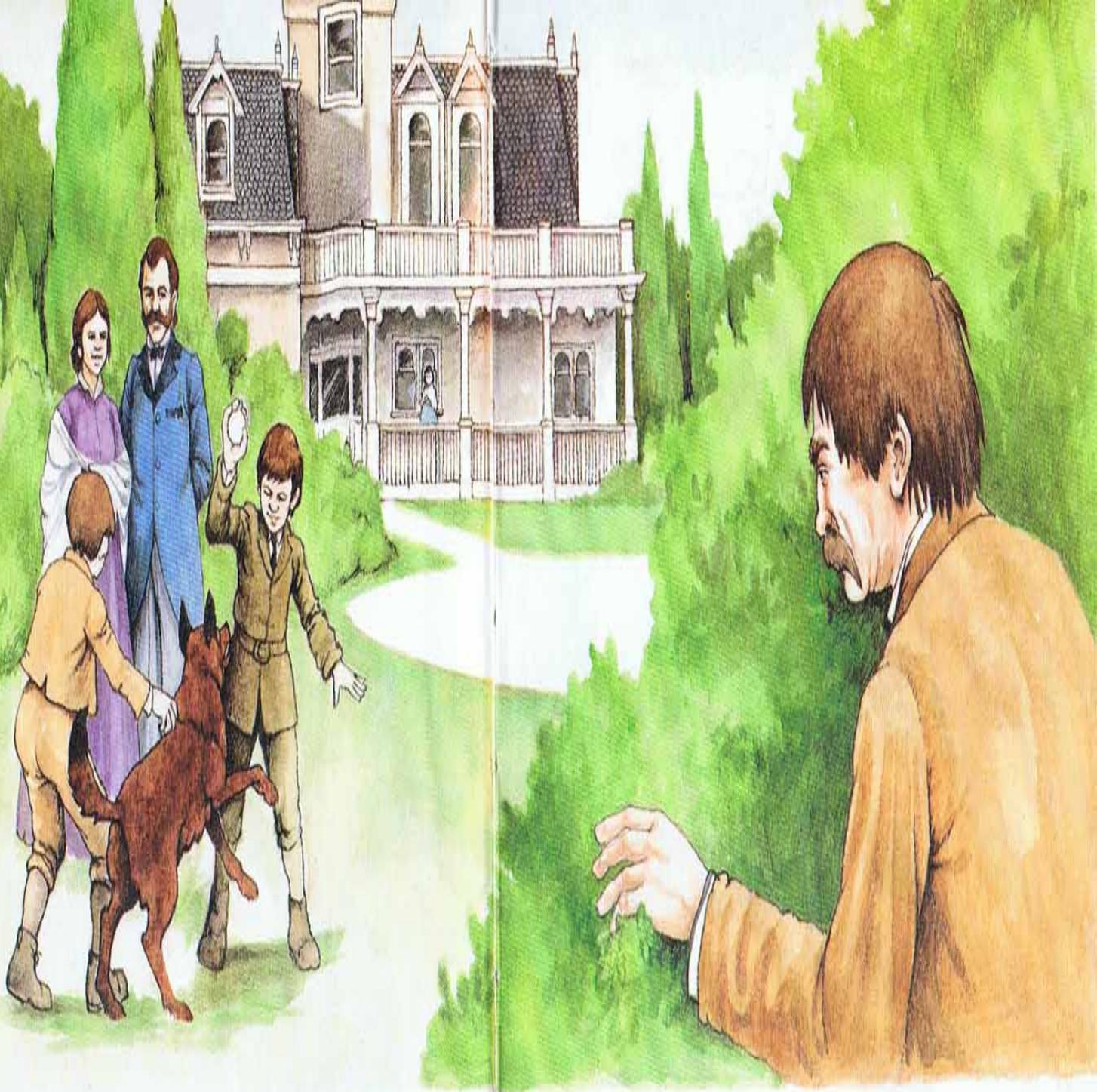
وَيَمْتَازُ أُسْلُوبُ جَاك لَنْدُنَ بِالْإِنَارَةِ وَالتَّشْوِيقِ ، إِلَّا أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ ، شَدِيدُ الْوَاقِعِيَّةِ ،
الْأَمْرُ الَّذِي أَكْسَبَهُ تِلْكَ الشَّعْبِيَّةَ الْعَرِيضَةَ ؛ فَقَدْ كَانَ يَكْتُبُ لِكُلِّ الْقُرَّاءِ لَا لِتَصْفِيقِ
الْأَدْبَاءِ ، كَمَا كَانَ رَجُلًا ذَا آرَاءِ اسْتِرَاكِيَّةٍ . وَكَانَ قَدْ تَمَرَّسَ بِالْأَعْمَالِ الْيَدَوِيَّةِ
الزَّهِيدَةِ الْأَجْرِ مِنْ خِلَالِ أَشَدِّ جَوَانِبِهَا تَعَاسَةً ، وَعَلَى ضَوْءِ هَذَا التَّحْلِيلِ قَامَ الْعَدِيدُ
مِنَ الْأَشْخَاصِ بِتَرْجَمَةِ رِوَايَةِ « نِدَاءِ الْبَرَارِيِّ » ، وَهِيَ تَأْخُذُ بِلُبِّ الْقَارِيِّ مِثْلَ غَيْرِهَا
مِنَ الرِّوَايَاتِ الْجَيِّدَةِ . وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنَّ الرِّوَايَةَ ، رَغْمَ أَنَّهَا لَا تُوضِّحُ رِسَالَةً أَوْ مَبْدَأً
مُعَيَّنًا إِلَّا أَنَّهَا تُثِيرُ عَدِيدًا مِنَ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي تَدْفَعُ بِالْقَارِيِّ نَحْوَ التَّفَكِيرِ وَالتَّأْمَلِ .



نِداءُ البَراري



في أواخرِ القرنِ التاسعِ عشرَ ، تمَّ اكْتِشافُ كمِّيَّاتِ هائلةٍ مِنَ الذَّهَبِ في
الأراضي القطبيَّةِ القاحلةِ الواقعةِ شمالَ أمريكا الشماليَّةِ ، وسرَّعانَ ما تعرَّضتْ هذهِ
المناطقُ غيرِ الأهلهِ ^{سكانها} بالسُّكَّانِ إلى ازدحامٍ بشريٍّ مُفاجيءٍ ، حيثُ نَزَحَ إلى هُنَاكَ
الآلافُ مِنَ البَشَرِ سعيًا وراءَ الثَّرْوَةِ .



سانتا كلارا بولاية كاليفورنيا . وكان مانويل غارقاً في ديونٍ عديدةٍ ، وما إن لمَح
كَلْبَ القاضي الضَّخْمِ بَكَ وَهُوَ يَجُولُ فِي الضَّيْعَةِ حَتَّى قَرَّرَ أَنْ يَضْحَى بِبِكَ مِنْ
أَجْلِ تَسْدِيدِ دِيُونِهِ .

كَانَ بَكَ يَنْدُرُ مُنَاسِباً تَمَاماً لِلْحَيَاةِ فِي القُطْبِ الشَّمَالِيِّ ؛ فَقَدْ وَرَثَ الحَجْمَ
وَالشَّعْرَ الطَّوِيلَ عَنِ وَالِدَيْهِ مِنْ سُلَالَةِ سانت بيرنارد وكولي وكانَ عُمُرُهُ حينَئِذٍ أَرْبَعَةَ
أَعْوَامٍ وَفِي ذُرْوَةِ اللِّيَاقَةِ ، وَقَدْ اشْتَدَّتْ عَرَبِكَتُهُ مِنْ خِلَالِ رِحَالِ الصَّيْدِ إِلَى جَانِبِ
مُمَارَسَتِهِ لِذَوْرِ الرِّعِيمِ فِي ضَيْعَةِ القَاضِي .

وَكَانَتْ الرِّحَافَاتُ الَّتِي تَجْرُهَا الكِلَابُ هِيَ الوَسِيلَةُ الوَحِيدَةَ لِلانْتِقَالِ فِي هَذِهِ
المَنَاطِقِ القُطْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ خِلَالَ شَهْرِ الشِّتَاءِ الطَّوِيلِ ؛ لِذَا فَقَدْ ظَهَرَتْ تِجَارَةُ الكِلَابِ
وَأزْدَهَرَتْ ، حَيْثُ كَانَ النَّاسُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِدَفْعِ أَيِّ سِعْرِ مِنْ أَجْلِ الحُصُولِ عَلَى
كِلَابٍ ضَخْمَةٍ وَقَوِيَّةٍ لِيَجْرَهُمْ عِبْرَ البَرَارِي التُّرَابِيَّةِ .

وَقَدْ أَدَّى هَذَا الطَّلَبُ المُتَزَايِدُ عَلَى الكِلَابِ إِلَى نَفْسِي سَرَقَتِهَا ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِ
هَؤُلَاءِ اللُّصُوصِ رَجُلٌ وَضِيعٌ يُدْعَى مانويل ، يَعْمَلُ بَسْتَانِيًّا لَدَى أَحَدِ القُضَاةِ فِي



وَلَمْ يَكُنْ بِكَ يَشْعُرُ بِالْأَسَى لِانْفِصَالِهِ عَنِ الْقَاضِي ؛ إِذْ إِنَّهُ بِالرَّغْمِ مِنْ إِخْلَاصِهِ
كَانَ بِطَبِيعَتِهِ مَنْطُوبًا ، وَلَا يَسْعَى مُطْلَقًا لِجَذْبِ الْاهْتِمَامِ أَوْ إِظْهَارِ الْمَحَبَّةِ .

تَسَامَحَ بِكَ مَعَ مَانُوبِلٍ كَمَا اعْتَادَ أَنْ يَفْعَلَ مَعَ كُلِّ مُوظَّفِي الْقَاضِي ؛
وَتَنَازَلَ بِالذَّهَابِ مَعَهُ إِلَى تَاجِرِ الْكِلَابِ ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْحَبْلَ الَّذِي التَّفَّ حَوْلَ
عُنُقِهِ كَانَ تَجْرِبَةً جَدِيدَةً تَمَامًا بِالنِّسْبَةِ لَهُ ، وَلَكِنَّهُ أَصْبَحَ أَقْلًا سُورًا وَزَمَجْرًا مُحَدَّرًا
عِنْدَمَا تَنَاوَلَ الْحَبْلَ شَخْصًا آخَرَ غَرِيبًا .

وَحَتَّى تِلْكَ اللَّحْظَةَ كَانَتْ رَغَبَاتُ بِكَ تُقَابِلُ بِاللُّطْفِ ، أَمَا زَمَجْرَةُ التَّحْذِيرِ
فَقُوبِلَتْ بِالِاحْتِرَامِ . وَلَكِنَّهُ سَرَعَانَ مَا شَعَرَ بِالْفَزَعِ عِنْدَمَا بَدَأَ الْحَبْلُ يَضِيقُ حَوْلَ عُنُقِهِ
وَاحْتَبَسَ احْتِجَاجُهُ فِي حَلْقِهِ ، وَإِذَا بِهِ يَغِيبُ عَنِ الْوَعْيِ .

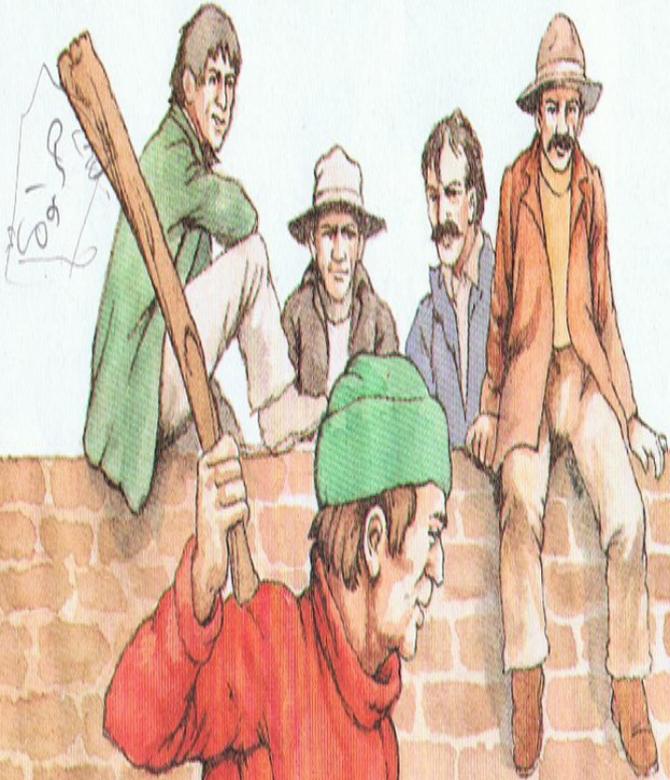
وَعِنْدَمَا أَفَاقَ بِكَ وَجَدَ نَفْسَهُ فِي قِطَارٍ يَتَحَرَّكُ ، وَمَا إِنْ وَقَعَتْ عَيْنَاهُ عَلَى الرَّجُلِ
الَّذِي ابْتَعَاهُ حَتَّى اسْتَعَادَ صِيَاحَهُ ، وَفِي لَمَحِ الْبَصْرِ أَطْبَقَ بِفِكَيِهِ عَلَى يَدِ الرَّجُلِ قَبْلَ
أَنْ يَتِمَّ كُنْ خَصْمُهُ مِنْ مَنْعِهِ . وَلَكِنَّهُ وَقَبْلَ أَنْ تَغْوِصَ أُنْيَابُهُ فِي يَدِ الرَّجُلِ وَجَدَ نَفْسَهُ
طَرِيحًا عَلَى الْأَرْضِ ، إِذْ جَذَبَ الرَّجُلُ الْحَبْلَ بِيَدِهِ الْأُخْرَى ، وَظَلَّ يَفْعَلُ هَذَا حَتَّى
نَجَحَ فِي دَفْعِ بِكَ دَاخِلَ أَحَدِ الْأَقْفَاصِ حَيْثُ مَكَتَ يَوْمَيْنِ بِدُونِ طَعَامٍ أَوْ مَاءٍ ؛ إِذْ
لَمْ يَكُنْ أَحَدًا لِيَجْرُوَ عَلَى الْاقْتِرَابِ مِنْهُ ، فَقَدَّ جَعَلَهُ هَذَا الْعَزْلُ أَكْثَرَ وَحْشِيَّةً ،
حَتَّى إِنْ الْحَمَالِينَ شَعَرُوا بِارْتِيَاكِ بِالْبَالِغِ عِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى وُجْهِتِهِمْ .

وَقَامَ رَجُلٌ ضَخْمٌ بِاصْطِحَابِ بِكَ مِنَ الْقِطَارِ ، وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ يَبْدُو غَيْرَ
مُكْتَرِبًا لِمَنْظَرِ الْحَيَوَانِ الْمَزْمَجِرِ أَمَامَهُ ، ثُمَّ بَدَأَ الرَّجُلُ فِي إِطْلَاقِ سَرَاكِ الْكَلْبِ
بِوَسِيطَةِ بَلْطَةِ صَغِيرَةٍ ، وَعِنْدئذٍ وَجَدَ بِكَ مُتَنَفِّسًا لِجُنُونِهِ مِنْ خِلَالِ مُهَاجِمَةِ الْقَفْصِ
الْخَشْبِيِّ الَّذِي تَهَشَّمَتْ تَحْتَهُ وَقَعَ ضَرْبَاتِ الْبَلْطَةِ .

وَمَا إِنْ تَمَكَّنَ بِكَ مِنَ الْفِرَارِ حَتَّى انْدَفَعَ نَحْوَ مُحَرَّرِهِ وَالْكَرَاهِيَّةُ تُطِلُّ مِنْ عَيْنَيْهِ ،
وَلَكِنَّهُ فَجَاءَ وَجَدَ نَفْسَهُ وَقَبْلَ أَنْ يَتَلَاقَى فَكَأَهُ طَرِيحًا عَلَى الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ دَارَ فِي
الْهَوَاءِ نَتِيجَةَ ضَرْبَةٍ مِنْ هِرَاوَةِ ضَخْمَةٍ .

إرادته مع ذلك ظلت متماسكة. ورغم أنه لم يستمر في محاولة الهجوم على صاحبه الجديد، إلا أنه ظل منزعجاً، ولكن دون أن يبدو عليه الخوف أو التردد الشديد كما تفعل بعض الكلاب عندما تتعرض للضرب.

كان الرجل ذو الهراوة من تجار الكلاب، وقد اعتاد أن يأتي إليه الغرباء لابتغاء الكلاب. وكان بك يشعر دائماً بالسعادة عندما لا يتم اختياره؛ إذ إنه



ولم يكن بك قد رأى هراوة قط، ولكنه سرعان ما أدرك جيداً مدى الضرر الذي يمكن أن يصيبه عندما تستخدم. واستمر بك يناضل في بسالة وثبات محاولاً أن يفلت من قبضة الرجل، ولكنه لم يلبث أن اكتسى بالدماء في حين ظل خصمه سليماً. وفي النهاية انهزم بك على أثر ضربة ساحقة وجهت إلى أنفه مما أصابه بالدوار، ولم يعد يملك شيئاً من القوة لمقاومة الرجل، بل إنه لم يقو حتى على الهمهمة حين ربت معذبه على رأسه بهدوء وهو يقول:

«حسن يا بك، لقد خضنا معركة الصغيرة، وأفضل ما يمكننا عمله الآن هو أن تنتهي هذه المعركة عند هذا الحد. إنك قد تعرفت على مكانك وأنا أعرف مكانتي. وإذا أصبحت كلباً مطيعاً فس يكون كل شيء على ما يرام، أما إذا ظللت سيئاً، فإنني سأخرج أحشاءك. أتفهم؟»

فهم بك ذلك جيداً، ولم يعد لمهاجمة رجل معه هراوة مرة أخرى، ولكن

الكلاب التي ربت بك تلك الهراوة سراً
كحولي



على الأقل سيترك لحاله لدى التاجر .

ولكن في النهاية تم بيع بك ومعه كلبه اخرى ضخمة من نوع نيوفونلاند تدعى كورلي ، وكان المشتري رجلاً فرنسيًا يدعى بيرو ، يعمل متعهدًا للنقل لدى الحكومة الكندية ، ويساعده في هذا العمل رجل يدعى فرانسوا .



و وضع الكلبان على متن سفينة لصيد الحيتان متجهين إلى القطب الشمالي ، وقد لحق بهما فيما بعد كلب آخر هادئ وصامت يدعى داف ، كان مطلبه الوحيد أن يترك وشأنه .

كما انضم إليها أيضا كلب أبيض ضخم من كلاب الإشكيمو يدعى سبيتر . وكان يبدو ودودًا ولكنه في الواقع كان غادرًا ومحتالاً ، يهز ذيله عندما يسرق طعامها أو يفتح نفسه في إثم من هذا القبيل .

ومرت الرحلة سريعاً ، ولم يلبث بك أن وطن نفسه على احترام مالكيه الجدد بعد أن اتضح له مدى ما يتصفون به من عدل وأمانة ؛ فهم دائماً يوفون الجزاء في موضعه ، كما أنهم أيضاً يفضون المراكب التي تنسب بين كلابهم في عدل وأنصاف وبدون مجاباة .

وما إن وصلوا إلى وجهتهم حتى وجد بك نفسه في عالم جديد تماماً ، فقد





وَهِيَ تُبْصِرُ بِذَنبِهَا حَتَّى وَتَبَّ كَلْبُ الْإِسْكِيمُو نَحْوَهَا فِي صَمْتٍ مُمَزَّقًا وَجْهَهَا مِنَ الْعَيْنِ حَتَّى الْفَكِّ ، فَوَقَفَتِ الْكَلْبَةُ الْمَسْكِينَةُ فِي دُهُولِ نَامٍ ، وَإِذَا بِالْكَلبِ يُعَاوِدُ الْهَجُومَ مَرَّةً أُخْرَى وَيُدْفَعُ قَوَائِمَهَا مِنْ تَحْتِهَا .

وَفِي اللَّحْظَةِ الَّتِي أَنْهَارَتْ فِيهَا عَلَى الْأَرْضِ إِذَا بِثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ كَلْبًا أُخَرَ مِنْ كِلَابِ الْإِسْكِيمُو تُلْحُقُ بِالْمَعْرَكَةِ ، وَإِذَا بِالْحَيَاةِ تُنْتَرَعُ مِنْ كورلي فِي وَحْشِيَّةٍ . وَمَا إِنْ لَاحَظَ بَكَ ذَلِكَ حَتَّى بَدَأَ يَكْرَهُ الْكَلْبَ الضَّخْمَ الْأَبْيَضَ سَبَبَتْ كَرَاهِيَةً عَمِيقَةً ، إِلَى حَدِّ أَنْهَمَا تَحْوِلَا إِلَى عَدُوِّينِ مِنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ وَإِلَى الْأَبَدِ .

لَمْ يَمُضِ وَقْتُ طَوِيلٌ عَلَى هَذِهِ الْبِدَايَةِ الْوَحْشِيَّةِ لِأَسَالِبِ الشَّمَالِ حَتَّى اكْتَشَفَ بَكَ أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى كَلْبٍ لِحْرَ الرِّخَافَاتِ .

وَلَى مُنَاخِ كَاليفورنيا الْمَسَالِمُ حَيْثُ يَتَمَدَّدُ النَّاسُ تَحْتَ أَشْعَةِ الشَّمْسِ فِي سَعَادَةٍ ، كَمَا أَنَّ الْأَرْضِي هُنَا تَبْدُو كَثِيَّةً وَغَيْرَ مَرْحَبَةٍ . وَلِأَنَّ اسْتِمْرَارَ الْحَيَاةِ غَيْرَ مَضْمُونٍ ؛ لِذَا كَانَتْ تُعْتَبَرُ كُلُّ حَرَكَةٍ نَشَاطٍ ذَاتِ أَهْمِيَّةٍ حَيَوِيَّةٍ ، حَتَّى تِلْكَ الْأَعْمَالُ الْبَسِيطَةُ كَالسِّيَرِ مَثَلًا ؛ فَلَا وَقْتُ هُنَاكَ لِلتَّرْتُّبَةِ الْفَارِغَةِ أَوْ لِلحُجُولَاتِ الْمَسَائِيَّةِ .

وَكَانَ الرُّجَالُ وَالْحَيَوَانَاتُ فِي مِنتَقَةِ الشَّمَالِ يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْعُبُوسُ وَالصَّمْتُ ، وَيَسْتَعْرِفُهُمُ الصَّرَاغُ مِنْ أَجْلِ الْبَقَاءِ ، حَيْثُ يَسْتَطِيعُ الْأَقْرَبَاءُ مِنْهُمْ فَفَقَطْ نَحْمَلُ قَسْوَةَ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ .

وَسَرَّعَانَ مَا بَدَأَ حَلِيلًا لِبَكَ مَدَى خُشُونَةِ الْحَيَاةِ ، عِنْدَمَا قَامَتْ صَدِيقَتُهُ كورلي بِمُبَادَرَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ نَحْوَ كَلْبِ الْإِسْكِيمُو . وَمَا إِنْ خَطَّتْ كورلي نَحْوَهُ بَضْعَ خُطُواتٍ

وَبَدَأُ أَوَّلُ دَرَسٍ لَهُ بِوَضْعِهِ بَيْنَ دَافٍ وَ سَبِيْتِزٍ لِیَسَاعِدَهُمَا فِي جَرِّ الخَشَبِ ، وَكَانَ
كِلَا الكَلْبَيْنِ مُتَمَرِّسًا فِي هَذَا العَمَلِ ، بَلْ كَانَا لَا يَتَرَدَّدَانِ مُطْلَقًا فِي تَأْنِيهِ عِنْدَ
الخَطَا ، أَوْ التَّبَاطُؤِ ، فَقَدْ كَانَتْ أَنْيَابُ دَافٍ تَسْتَقِرُّ فَوْقَ الرُّبْعِ الخَلْفِيِّ مِنْ جِسْمِهِ ،
عَلَى حِينٍ يَكُونُ سَبِيْتِزٍ أَمَامَهُ بِزَمْجَرَاتِهِ المَحْدَرَةِ وَدَفْعَاتِهِ وَعَضَاتِهِ المَفَاجِئَةِ ، الأَمْرُ الَّذِي
دَفَعَهُ لِیَتَعَلَّمَ بِسُرْعَةٍ ؛ مِمَّا جَعَلَهُ خِلَالَ بَضْعِ سَاعَاتٍ قَادِرًا عَلَى التَّجَاوُبِ مَعَ أَوَامِرِ
فِرَانِسَا .

وَإِنضَمَّ إِلَيْهَا فِي ذَلِكَ المَسَاءِ ثَلَاثَةُ كِلَابٍ أُخْرَى ، كَانَ مِنْ بَيْنِهَا كَلْبٌ مُخَنِّكٌ
يُدْعَى سُولَ - لِيكْسِ . وَكَانَ أَعْوَرَ وَتَنْتَشِرُ فِي وَجْهِهِ نُدُوبُ المَعَارِكِ ؛ مِمَّا كَانَ بِمِثَابَةِ
تَحْذِيرٍ لِكُلِّ مَنْ تُسَوَّلُ لَهُ نَفْسُهُ افْتِحَامَ عَزَلَتِهِ .

وَكَانَ الكَلْبَانِ الآخِرَانِ أَخَوَيْنِ مِنْ كِلَابِ الإِسْكِيمُو الأَصْلِيَّةِ ، أَحَدُهُمَا مُشَاكِسٌ
عُدْوَانِيٌّ وَيُدْعَى جُو . أَمَّا الآخَرُ ، بِيَلِّي ، فَكَانَ حَسَنَ الطَّبَاعِ حَرِيصًا عَلَى إِرْضَاءِ
الْآخَرِينَ .

وَعَلَى الفَوْرِ قَامَ سَبِيْتِزٍ بِتَأْكِيدِ نُفُودِهِ كَقَائِدٍ لِلْفَرِيقِ ، بِغَرَسِ أَنْيَابِهِ فِي القَادِمِينَ
الجُدُدِ ، وَكَانَ بِيَلِّي هُوَ الوَحِيدَ الَّذِي تَلَقَّى العِقَابَ المُتَعَمِّدَ . وَمَعَ ذَلِكَ تَرَاجَعَ سَبِيْتِزٍ
عَنِ التَّحَرُّشِ بِسُولَ - لِيكْسِ ، أَمَّا جُو فَكَانَ يُكَشِّرُ عَنْ أَنْيَابِهِ عِنْدَ كُلِّ هُجُومٍ ،
بِالرَّغْمِ مِنَ الخَوْفِ الَّذِي كَانَ وَاضِحًا عَلَيْهِ .

إِنْخَفَضَتْ دَرَجَةُ الحَرَارَةِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنْخِفَاضًا حَادًّا ، فَبَدَأَ بَكَ يُفَكِّرُ فِي كَيْفِيَّةِ
مُقَاوَمَةِ اللَّيْلِ فِي هَذِهِ الأَرْضِ القُطْبِيَّةِ المُقْفِرَةِ ، فَدَفَعَتْهُ الغَرِيزَةُ نَحْوَ الوَهْجِ المُثِيرِ
المُنْبِعِثِ مِنَ النَّارِ الَّتِي أَوْقَدَهَا الرُّجَالُ ، وَلَكِنَّهُ سَرَّعَانَ مَا أُجْبِرَ عَلَى أَنْ يَبْحَثَ لِنَفْسِهِ
عَنْ فِرَاشٍ بَارِدٍ بَيْنَ الثَّلُوجِ ، بَعْدَ أَنْ دَفَعَهُ الرُّجَالُ بَعِيدًا بِمُخْتَلِفِ الوَسَائِلِ .

وَحَالَ الصَّقِيعُ وَالرِّيَّاحُ البَارِدَةُ بَيْنَ بَكَ وَالنَّوْمِ ، فَبَدَأَ يَجُولُ حَوْلَ المَعَسَكِ فِي



تُخَاذِلُ بَحْثًا عَنِ الْكِلَابِ الْأُخْرَى الَّتِي بَدَأَ أَنَّهَا قَدِ اخْتَفَتْ .

وَكَادَ بَكَ يَتَعَثَّرُ بِشَيْءٍ عَلَى الْأَرْضِ ، فَتَرَجَعَ وَنَظَرَ ، وَإِذَا بِهِ يَرَى رَأْسًا يَخْرُجُ مِنْ حُفْرَةٍ بَيْنَ الثَّلْجِ . تَقَدَّمَ نَحْوَهُ فَتَحَرَّكَ وَمَدَّ لِسَانَهُ وَلَعِقَ وَجْهَهُ . اِكْتَشَفَ بَكَ وَهُوَ فِي دَهْشَةٍ بِالْغَيْةِ أَنَّ هَذَا الرَّأْسَ لَمْ يَكُنْ سِوَى بَيْلِي الَّذِي تَكْوَمُ جِسْمُهُ كَالْكُرَةِ تَحْتَ الثَّلْجِ .

وَكَانَ يَيْدُو عَلَى بَيْلِي الدَّفْءُ التَّامُ ، فَقَرَّرَ بَكَ أَنْ يَحْدُو حَدْوَ زَمِيلِهِ وَيُرْجَّ بِنَفْسِهِ دَاخِلَ إِحْدَى حُفْرِ النَّوْمِ ، وَكَانَ هَذَا هُوَ أَوَّلَ الدَّرُوسِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا بِالنِّسْبَةِ لِلْحَيَاةِ فِي الْمِنْطَقَةِ الْقُطْبِيَّةِ الْمُتَجَمِّدَةِ . وَكَانَ لِسُرْعَةٍ تَأَقْلَمِهِ مَعَ سُلُوكِ هَذَا النَّوعِ مِنْ

كِلَابِ الإِسْكِيمُو الفُطَيْبَةِ الفُضْلُ فِي بَقَائِهِ عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ فِي ذَلِكَ الشَّمَالِ
الْمُتَّجِمِدِ .

وَفِي صَبَاحِ اليَوْمِ التَّالِيِ انضَمَّ إِلَى الفَرِيقِ ثَلَاثَةَ كِلَابٍ جَدِيدَةٍ مِنْ كِلَابِ
الإِسْكِيمُو ، ثُمَّ بَدَأَتِ الرِّحْلَةُ الطَّوِيلَةَ عَبْرَ البَرَارِيِّ المُتَّجِمِدَةِ . وَمَا إِنْ تَمَّ وَضَعُ
الأَطْعَمِ لِلْكِالِبِ حَتَّى انضَهَرَتْ شَخْصِيَّاتُهَا المُخْتَلِفَةُ ، وَبَعْدَ أَنْ كَانَتْ تِسْعَةٌ
كَائِنَاتٍ مُتَّوَعَةً أَصْبَحَتْ وَحْدَةً وَاحِدَةً فَعَالَةً تُفَكِّرُ وَتَتَحَرَّكُ كَالِكِلْيَانِ الوَاحِدِ .

وَكَانَ هَذَا التَّحَوُّلُ وَاضِحًا بِطَرِيقَةِ مَلْحُوظَةٍ بِالنِّسْبَةِ لِذَافِ وَسُورِ - لِيَكْسَ ؛ إِذِ
اجْتَاخَهُمَا جُبُورٌ شَدِيدٌ مَحَلٌّ غُوسِهِمَا المَعْتَادِ ، وَأَنْدَمَجَا بِكُلِّ مَشَاعِرِهِمَا فِي العَمَلِ
الَّذِي كَانَ المَصْدَرُ الوَحِيدَ لِسُرُورِهِمَا .

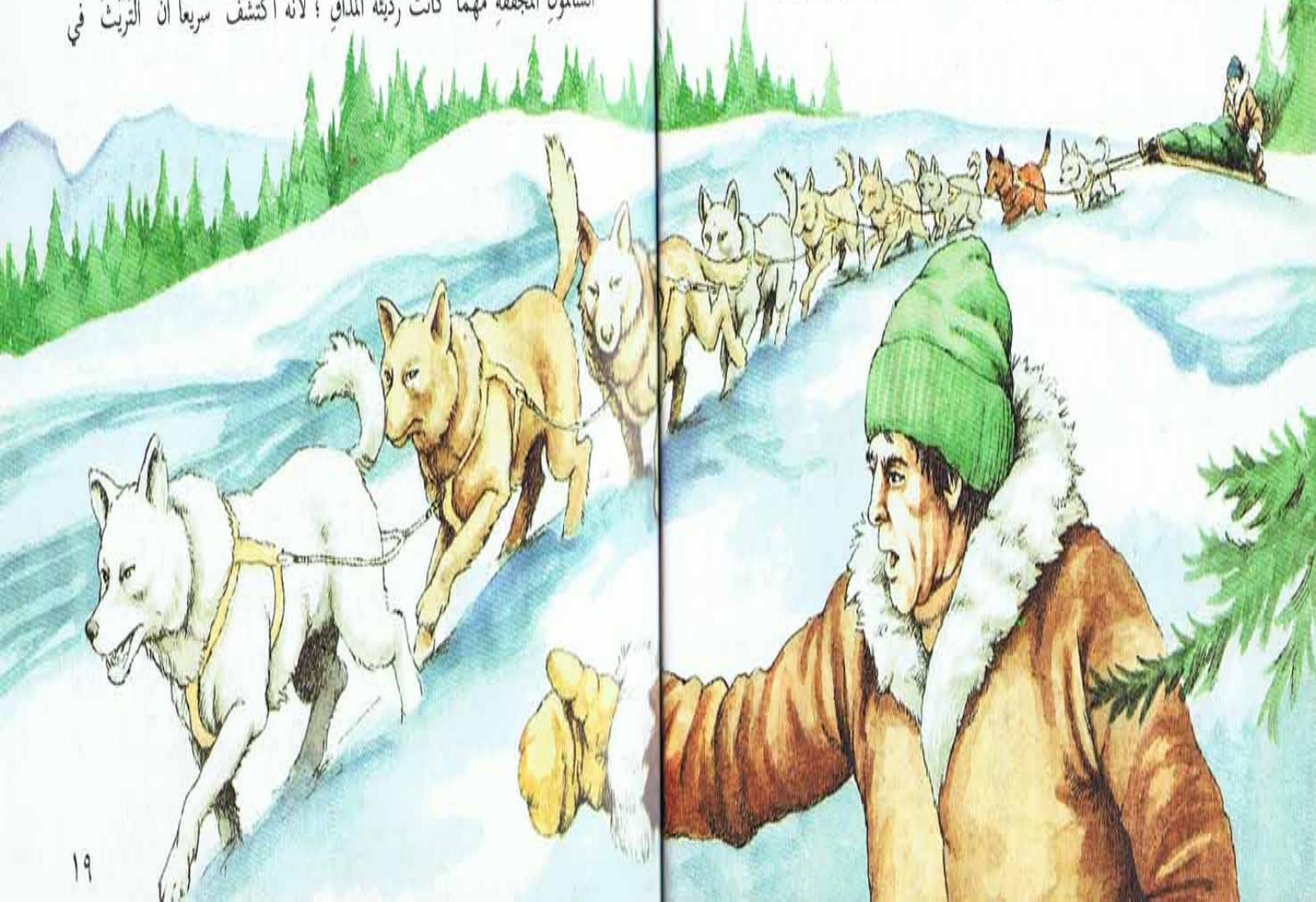
وَنَمَّ وَضَعُ بَكِّ بَيْنَ هَدَيْنِ المَحْكِينِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَعَلَّمَ أَلَّا يَتَسَبَّبَ فِي تَعْطِيلِ
الفَرِيقِ بِإِرْبَاكِ حَبْلِ الجَرِّ أَوْ التَّبَاطُؤِ . وَلَمْ تَكُنْ أُنْيَابُ الكَلْبَيْنِ أَوْ سَوْطُ فِرَانِسُو
بِالأَشْيَاءِ الَّتِي يُسْتَهَانَ بِهَا فِي سُرْعَةِ تَصْحِيحِ الأَخْطَاءِ ، وَلَكِنْ لِأَنَّهَا كَانَتْ

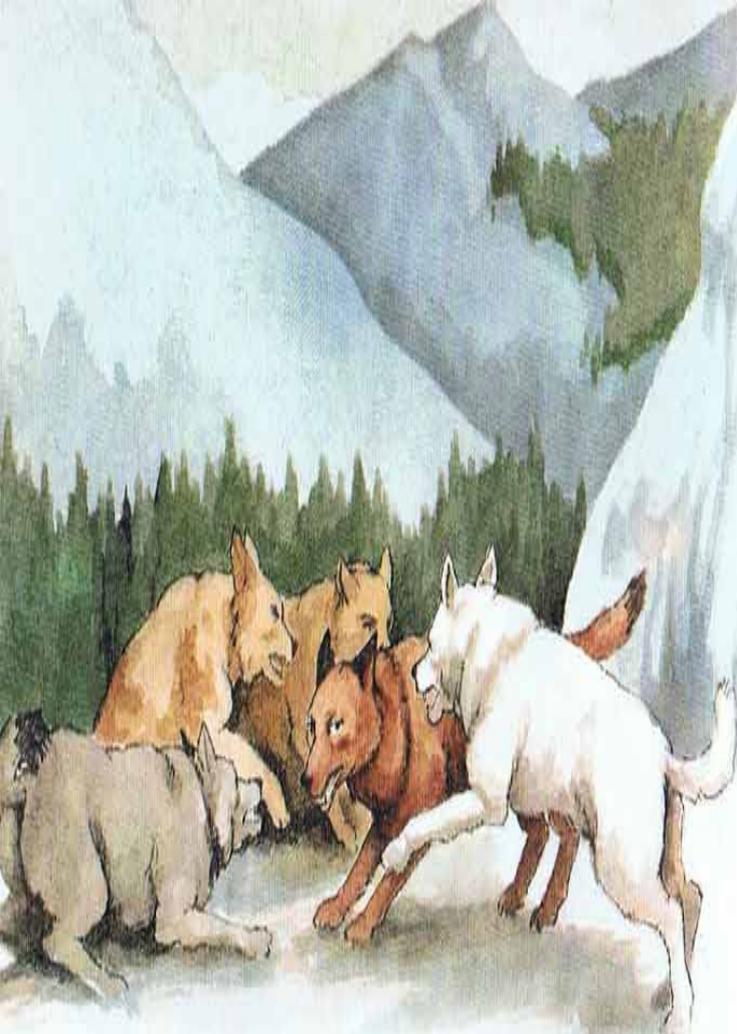
مُنْصِفَةٌ فِي عِقَابِهَا ، سَرَعَانَ مَا أَصْبَحَ بَكُّ كَلْبًا مُمْتَارًا لِجَرِّ الرِّحَافَاتِ .

مَرَّتِ الأَيَّامُ سِرَاعًا وَهُمْ يَعْبرُونَ تِلْكَ الأَرْضِي الفَاحِلَةَ ، وَكَانَ بَكُّ يَزِيدُ صِلَابَةَ
وَلِيَاقَةَ مَعَ كُلِّ تَجْرِبَةٍ يُوَاجِهُهَا . وَأَزْدَادَتْ حِدَّةَ حَوَاسِهِ ، كَمَا بَدَأَتْ عِدَّةَ عَرَائِزٍ فِي
التَّقِيطِ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَعْمُورَةً فِي طَلِّ حَيَاةِ المَدِينَةِ السَّابِقَةِ ؛ إِذْ أَصْبَحَ فِي
قِتَالِهِ وَعَوَائِهِ يُشْبِهُ الذُّئْبَ ، كَمَا اكْتَسَبَ ذَهَاءً عَمِيقًا أَتَّاحَ لَهُ التَّاقُلَمُ مَعَ حَيَاةِ
الشَّمَالِ ، الَّتِي أَهْلَكْتَ العَدِيدَ مِنْ كِلَابِ الجَنُوبِ .

وظَهَرَ هَذَا الذَّهَاءُ جَلِيًّا عِنْدَمَا تَعَلَّمَ كَيْفَ يُضِيفُ إِلَى حِصَّتِهِ الهَزِيلَةَ مِنَ الطَّعَامِ
عَنْ طَرِيقِ السَّرْقَةِ ، وَكَانَ مِنَ الذَّهَاءِ بِحَيْثُ لَمْ يَكْتَشِفْ قَطُّ ، بَلْ إِنْ الكِلَابِ
الأُخْرَى هِيَ الَّتِي كَانَتْ تَتَلَقَّى العِقَابَ دَائِمًا عَلَى الجَرَائِمِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا هُوَ .

كَمَا تَعَلَّمَ بَكُّ أَيضًا إِلَى جَانِبِ سُرْقَاتِهِ كَيْفَ يَزِيدُ بِسُرْعَةٍ نَصِيبَهُ مِنَ أَسْمَاكِ
السَّلْمُونِ المُخْفَفَةِ مَهْمَا كَانَتْ رَدِيقَةَ المَذَاقِ ؛ لِأَنَّهُ اكْتَشَفَ سَرِيعًا أَنَّ التُّرْتِثَ فِي

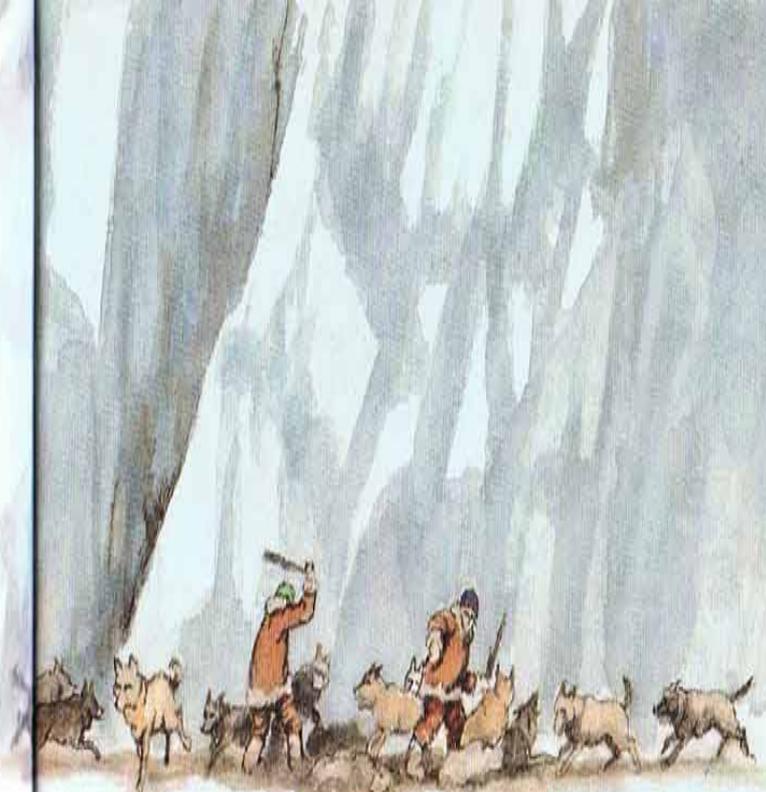




وَاتَحَدَّثَ كُلُّهَا لِرَدِّ الْمُعْتَدِي ..

هاجمت كلاب الإسكيمو المغيرة فريق الكلاب بالمعسكر في ضراوة ، ووجدت بك نفسه مُحاطًا بثلاثة كلاب قد طاش صوتها من الجوع ، وهاجمته في شراسة ولكنّه ناضل بكفاءة ؛ إذ أتاح له حجمه ؛ وقوته تميّزاً قوياً بين خصومه الجائعة ، إلا أنّه شعر بالمرارة لعدم قدرته على حماية نفسه من عدوان سبيتر قائد الفريق عندما هاجمه من الخلف غدرًا .

وتمنى سبيتر أن يكبو بك لعلّمه أن كلاب الإسكيمو لن تسمح له بالتهوؤ مرة أخرى ، ولكن بك لمح بطرف عينه الجسد الأبيض المتحفر ، واستطاع في اللحظة الأخيرة أن يلف جسده ليتفادى التصادم ، فارتطم سبيتر بكفيه ، وظلت عين بك بعد ذلك يقظة ترقب عدوه ، ولم يشعر بالارتياح إلا بعد إبعاد كلاب الإسكيمو من المعسكر نهائياً لعلّمه أنه لن يهاجم على غرة بعد ذلك .



أكل الطعام سبيخ لأقرانه في الفريق الفرصة للاستيلاء عليه .

وسرعان ما أصبح بك مقاتلاً محترفاً في مجال الدفاع عن طعامه الخاص ، إلا أنه لم يكن يسعى للقتال ، بل عادة ما كان يتجنبه متعمداً ، ولكن سبيتر كان يناصبه العداء عن قصد فينقض عليه ويؤذيه ، في محاولات دائمة لإثارته ودفعه إلى قتال شرس قد يؤدي إلى مصرع أحدهما .

وفي إحدى الليالي استولى سبيتر على عش النوم الذي اختاره بك في بقعة مستترة تحت إحدى الصخور المعلقة ، وأعتاظ بك إلى حد أنه قفز لمعاقبه المعتدي ، في جنون أدهش الكلب الآخر الذي كان يظن دائماً أنه جبان ، ولكنه عندما أفاق من صدمته ، تخلى عن رعبه في الانتقام ؛ لذا قفز على قدميه وهو يصيح في غير غضب ، ثم بدأ يدور حول بك في حذر بحثاً عن مهرب .

وفجأة دب نشاط مفاجيء في أنحاء المعسكر في تلك اللحظة ؛ فقد أغارت على مؤن المعسكر مجموعة من كلاب الإسكيمو الغازية ، والتي وفدت من إحدى القرى المجاورة ، وعندئذ نسبت الكلاب في التوكل المشاحنات الشخصية ،

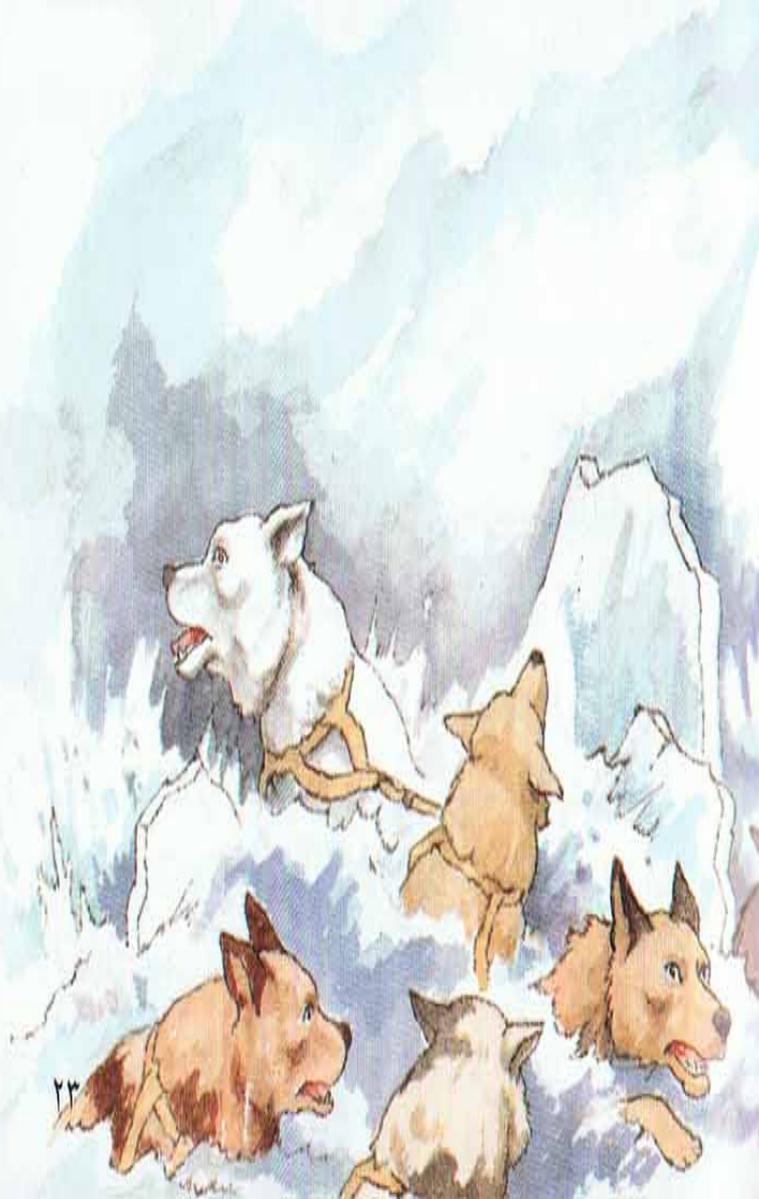
كان الفريق في حالة سيئة بعد المعركة؛ فقد أصيبت كل الكلاب بجروح متعدده، وكان بعض هذه الإصابات خطيراً لا وتلف جبل جرّ الرخافة تماماً، كما تم السطو على نصف المؤن، الأمر الذي كان في الواقع بمثابة خسارة فادحة؛ إذ لا يمكن أن يأمل رجل أو كلب في مجابهة الظروف القاسية لشتاء الشمال وهو



مجرد من المؤن الكافية

اكتشف كل من بيرو وفرانسوا أن أملهما الوحيد ينحصر في الحث على التقدّم بأسرع ما يمكن، وعدم إضاعة الوقت في التوجّح على الحساير؛ فبين سوء الحظ أن الرحلة تمتدّ خلال منطقة بالغة الخطورة، حيث تتعرّض الحياة وكل ما يحيط بها للمخاطرة المستمرة.

كان التقدّم بطيئاً، وكانوا يتحرّكون خلال أحد الأنهار الحديثة التجمّد، وكثيراً ما كان يحدث بين وقت وآخر أن يعوص أحد الرجال أو حتى الرخافة في الجليد، فتجُرّ معها فريق الكلاب إلى الأعماق السحيقة الحليكة الظلام، وعندئذ تقوم المجموعة بسحب الضحايا التعمّسة وقد كسّتها الثلوج. وكان على المجموعة أن تتوقّف انتظاراً لإشعال النار وتدفئة الضحايا؛ لإذابة الجليد قبل أن تتجمّد

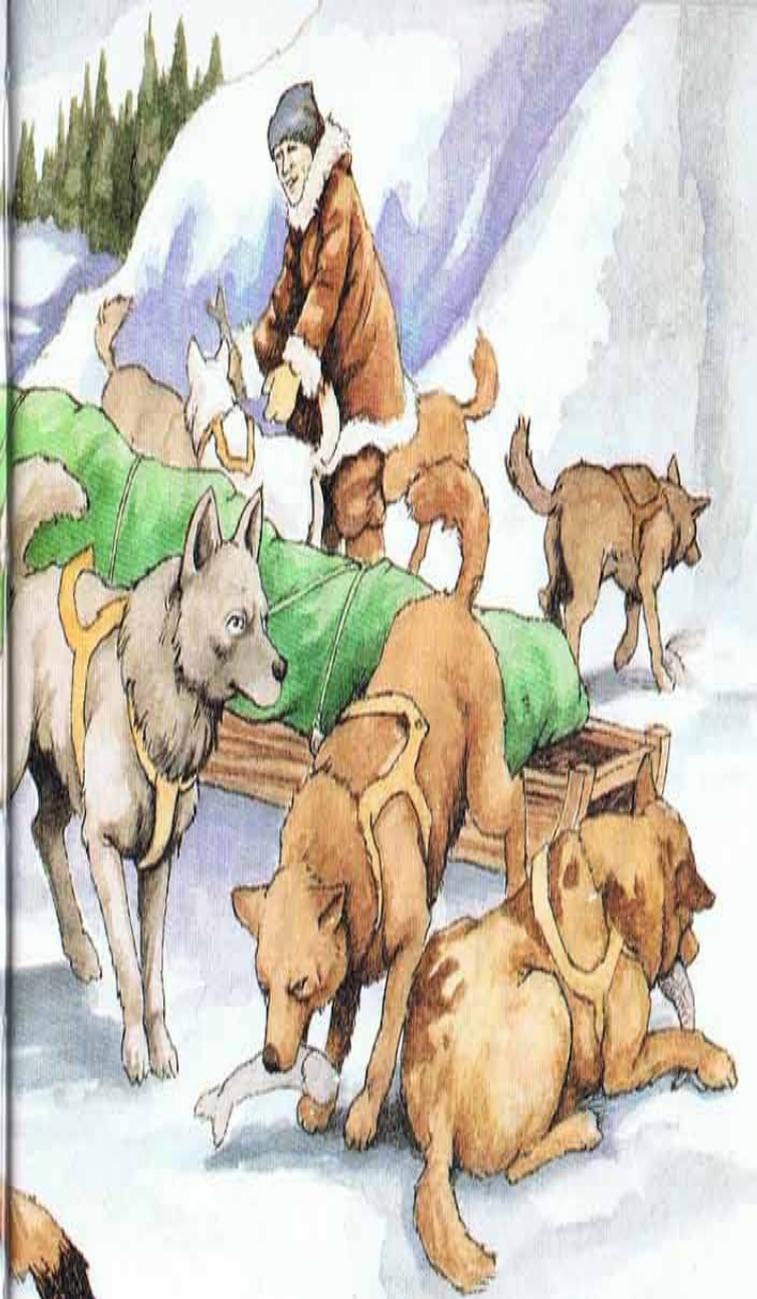




المشكلة التي قرأها لرايت

عاني بك بصفة خاصة من اختقان أقدامه، بسبب ليونة الوسائد التي تبتطنها، على عكس كلاب الإسكيمو الأضليّة، نظراً لطبيعة الحياة السهلة التي كان يتعمّم بها أجداده في كاليفورنيا من قبل. وكان بك يفرّج خلال النهار، وفي الليل يرفض أن يتحرّك من مكانه ولا حتى من أجل تناول الطعام؛ فكان على فرانسوا أن يذهب إليه بنفسه.

وفي النهاية اشتطاع بيرو أن يحل المشكلة بعمل جذاء لين لكل قدم من أقدامك، وبعد ذلك رفض الكلب أن يتحرّك بدون جذائه، إلى أن أصبحت بطون أقدامه من الصلابة بحيث تتحمّل قسوة الجليد.



الدماء داخل أجسادها بسبب البرد القارس.

أصبحت الرفقة التي تجمع بين الرجل والكلب أمراً بالغ الحيويّة، بحيث لا يستطيع أحدهما أن يحيا بدون الآخر. ونشأ نوع من الاحترام المتبادل بين الرجل والكلاب نتيجة لذلك التعاون المشترك بينهما.

وبذلت الكلاب كل ما في وسعها لجذب الرخافة بكفاءة، في حين ظل كل من بيرو وفرانسوا في تنقّظ دائم لتوفير احتياجات الفريق من حيث إطعامها في أفضل صورة ممكنة من المؤن الضئيلة المتوفرة، إلى جانب فحص مخاليلها بعناية كل ليلة؛ بملاحظة الجروح وكتل الجليد العالقة بها.

أُتِاحَ الفُرْصَةَ لِعَدُوِّهِ لِيُقْتَنَصَهُ بَعْتَهُ ، فَفَقَّرَ سَبِيْتَهُ نَحْوَهُ كَأَعْصَابِ هَائِجٍ ، وَلَكِنْ فَرَانِسُوا
 هُرِعَ لِجِمَامِيَةِ بَكِّ مُسْتَحْدِمًا سَوَطُهُ فِي كَرَمٍ بَالِغٍ ، مِمَّا أَجْبَرَ سَبِيْتَهُ عَلَى
 التُّكْوَسِ ، إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ وَاضِحًا أَنَّ الكَلْبَيْنِ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يُتَابَعَا مَعْرَكَتَهُمَا لِصِلَابِهَا
 إِلَى النِّهَايَةِ .

بَدَأَ بَكُّ يُعْلِنُ فِي وَضوحٍ تَحْدِيهِ لِزَعَامَةِ سَبِيْتِهِ ، وَكَلَّمَا حَاوَلَ سَبِيْتُهُ أَنْ
 يُعَاقِبَ أَحَدًا مِنْ أَعْضَاءِ الفَرِيقِ بِسَبِّ خَطِّ مَا فِي عَمَلِيَةِ الجَرِّ ، إِذَا بِبَكِّ يُسْرِعُ
 بِالْقَفْرِ لِجِمَامِيَةِ الجَانِي . وَقَدْ أَوْجَدَ هَذَا العِصْبَانُ نَوْعًا مِنَ التُّوتْرِ بَيْنَ أَفْرَادِ الفَرِيقِ
 بِأَكْمَلِهِ ، الأَمْرَ الَّذِي أَرْجَحُ فَرَانِسُوا ؛ لِأَنَّ الفَرِيقَ أَصْبَحَ لَا يَعْمَلُ كَوَحْدَةٍ وَاحِدَةٍ
 فَعَالَةٍ .

وَفِي إِحْدَى الأَمْسِيَّاتِ حَدَثَتِ الأَزْمَةُ ، عِنْدَمَا انْتَضَمَ الفَرِيقُ بِأَكْمَلِهِ مَا عَدَا

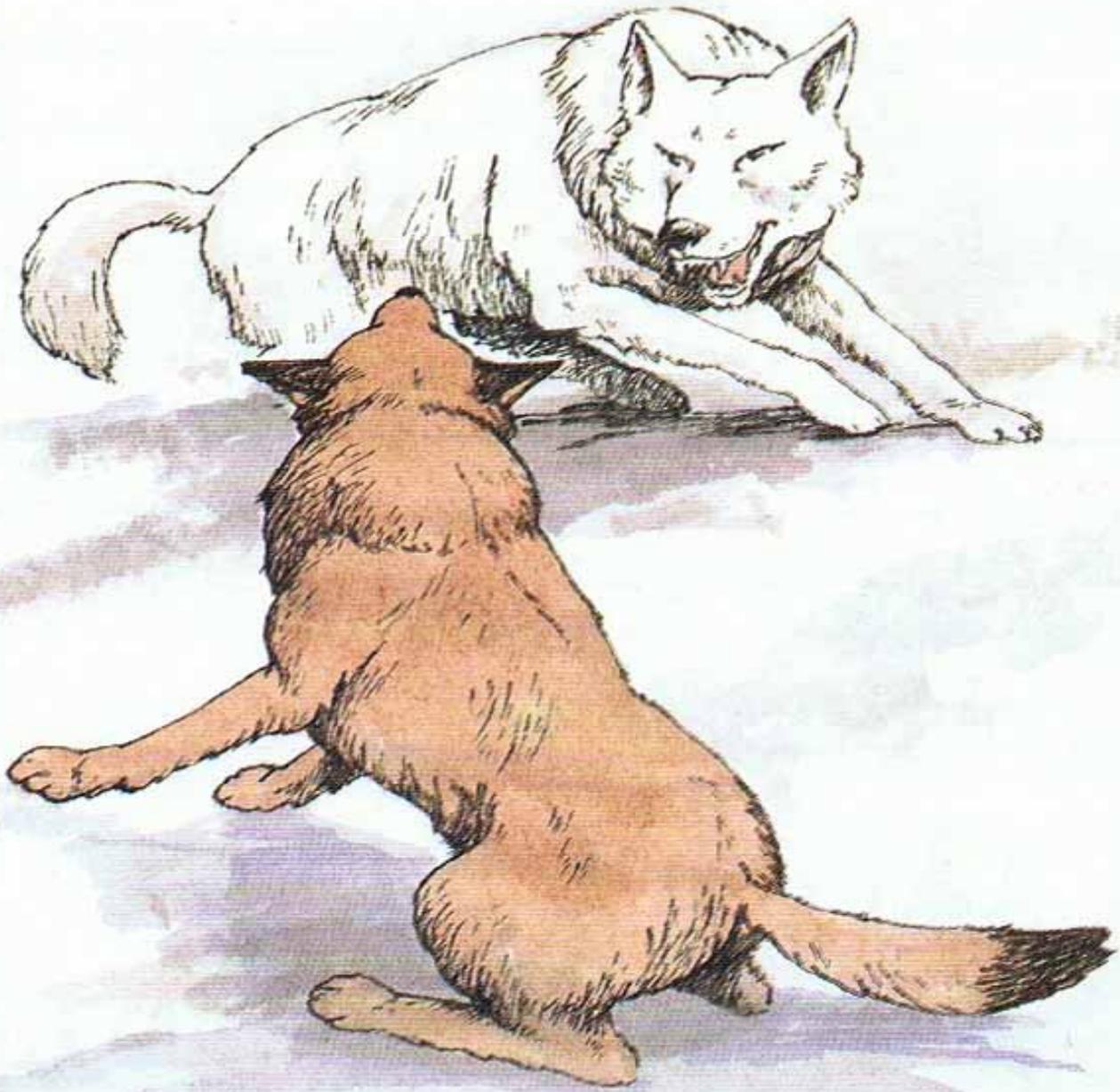


ظَلَّ يَبْرُو وَفَرَانِسُوا يُرَاقِبَانِ كِلَابَهُمَا فِي يَقْظَةٍ تَامَّةٍ مُنْذُ هُجُومِ كِلَابِ الإِسْكِيمُو
 المُتَوَحِّشَةِ ، بِمِلْأَحْظَةِ دَلَائِلِ مَرَضِ الشُّعَارِ الرُّهِيْبِ الَّذِي قَدْ يَكُونُ مُتَشِيرًا بَيْنَ تِلْكَ
 الكِلَابِ الغَازِيَةِ ؛ لِذَا لَمْ يَدَّهْشَا بِمَا حَدَثَ فِي أَحَدِ الأَيَّامِ أَثْنَاءِ إِعْدَادِ الفَرِيقِ لِلجَرِّ
 عِنْدَمَا أَصِيْبَتْ إِحْدَى كِلَابِ الإِسْكِيمُو بِالجُنُونِ المُفَاجِئِ ، وَكَانَتْ مِنْ قَبْلِ تَمَيِّزٍ
 بِالهُدُوءِ ، وَتُدْعَى دَوْلِي . وَكَانَ التَّخْذِيرُ الوَحِيدُ الَّذِي أَرْسَلَتْهُ عِبَارَةٌ عَنْ عَوَاءٍ
 وَاجِدٍ مُرْعِبٍ أَطْلَقَتْهُ قَبْلَ أَنْ تُنْذِفِعَ نَحْوَ بَكِّ وَقَدْ كَثُرَتْ عَنْ أَنْبِأِهَا وَطَفَا الرُّبْدُ
 مِنْ قِيَمِهَا .

وَلَمْ يُحَاوِلْ بَكُّ أَنْ يَتَصَدَّى لِلهُجُومِ ، وَلَكِنْ دَفَعَتْهُ الفِطْرَةُ لِأَنَّ يَسْتَدِيرَ وَيُوَيِّ
 الأَدْبَارَ ، فَتَبِعَتْهُ دَوْلِي وَتَسَابَقَ الكَلْبَانِ فِي جُنُونٍ حَوْلَ المَعْسَكِ وَلَكِنْ دُونَ أَنْ يَنْجَحَ
 أَيُّ مِنْهُمَا فِي التَّغَلُّبِ عَلَى الأَخْر . وَغَلَبَ اليَأْسُ بَكَّ فَانْدَفَعَ نَحْوَ فَرَانِسُوا مِنْ مُنْطَلِقِ
 نِقْتِهِ العَمِيَاءِ فِي إِتْقَادِ الرَّجُلِ لَهُ مِنْ بَرَائِنِ ذَلِكَ الشَّيْطَانِ الَّذِي يَلَاحِقُهُ ، وَلَمْ يُخْلُ
 بَكُّ ؛ إِذْ مَا كَادَ يَهْرُبُ نَحْوَ هَذَا الأَمَلِ الأَخِيرِ فِي النِّجَاةِ حَتَّى سَمِعَ صَوْتَ بَلْقَةَ
 فَرَانِسُوا وَهِيَ تَدُقُّ عُنُقَ دَوْلِي فَتَنْهِي حَيَاتَهَا شَفَقَةً بِهَا .

سَقَطَ بَكُّ مِنْهَا مِنْ الإِجْهَادِ ، وَلَكِنْ لَمْ يُسْمَحْ لَهُ بِالرَّاحَةِ ؛ إِذْ إِنَّ هَذَا المَوْقِفَ





سبيتز إلى مجموعة من كلاب الإسكيمو لصيد أحد الأرانب ، فأسرع بك بتولي القيادة . وما إن أصبح على بعد بضعة خطوات من ضحيته حتى قفز سبيتز فجأة من مخبئه بين الأشجار ، ثم استقر أمامه غارساً أسنانه في جسد الأرنب الدافئ .

شعر بك بالإحباط الشديد لضياع فريسته ، واجتاحتته شهوة الدم ، فتحوّل اهتمامه في الحال نحو سبيتز وسط وجوم مجموعة كلاب الإسكيمو ، التي وقفت تُراقب الموقف وقد اصطفت في حلقة صامتة حول الخصمين .

وَكَانَ بَكُّ أَضْحَمَ الْكَلْبَيْنِ إِلَى جَانِبِ مَا يَجْتَا حُهُ مِنْ هِيَاجٍ لَهُ مَا يُبْرِرُهُ ، أَمَا سَبِيْتَزْ فَكَانَ يَفُوقُ بَكُّ خَبْرَةً ، الْأَمْرُ الَّذِي أَتَضَحَّ سَرِيْعًا ، حَيْنَ حَاوَلَ بَكُّ عِدَّةَ مَرَاتٍ أَنْ يَصِلَ إِلَى الرَّقَبَةِ الْبَيْضَاءِ لِخَصْمِهِ ، وَلَكِنْ تَحَرُّكَاتِهِ كَانَتْ دَائِمًا مُتَوَقِّعَةً ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ يَجِدُ سِوَى أَنْيَابٍ حَادَّةٍ فِي أَنْتِظَارِهِ . كَذَلِكَ بَاءَتْ مُحَاوَلَاتُهُ كُلَّهَا لِضَرْبِ سَبِيْتَزْ بِكَتْفِهِ بِالْفِشْلِ ، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ شَعَرَ بِقَطْرَاتِ الدَّمَاءِ تَنْبَثِقُ مِنْ عِدَّةِ جُرُوحٍ ، فِي حَيْنٍ ظَلَّ سَبِيْتَزْ سَلِيْمًا .

وَمَا إِنْ بَدَأَ الْوَهْنُ يَبْدُو عَلَى بَكِّ حَتَّى بَادَرَ سَبِيْتَزْ بِالْهُجُومِ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ اتِّجَاهٍ ، فِي مُحَاوَلَةٍ لِلْقَضَاءِ عَلَى مَا تَبَقِيَ مِنْ تَوَازُنٍ لَدَيْهِ . وَاقْتَرَبَتْ مَجْمُوعَةُ كِلَابِ الْإِسْكِيْمُو وَهِيَ تَلْعَقُ شِفَاهَهَا فِي تَرْقُبٍ ، وَهِيَ تَتَوَقَّعُ أَنَّ بَكُّ سَرْعَانَ مَا سَيُصْبِحُ تَحْتَ رَحْمَتِهَا ، وَلَكِنْ بَكُّ لَمْ يَكُنْ قَدْ هُزِمَ بَعْدُ .

وَكَانَ بَكُّ يُقَاتِلُ بِالْفِطْرَةِ إِلَى جَانِبِ الذِّكَاةِ ، وَمَا إِنْ تَزَايَدَ الضَّغْطُ عَلَيْهِ حَتَّى قَامَ بِتَغْيِيرِ خُطْطِهِ فُجْأَةً ، حَيْثُ تَظَاهَرَ بِالْإِنْدِفَاعِ نَحْوَ سَبِيْتَزْ وَأَخَذَ يُنَاوِرُهُ عِنْدَ كَتْفَيْهِ ، وَلَكِنْ فِي اللَّحْظَةِ الْأَخِيرَةِ هَبَطَ وَانْقَضَ عَلَى سَاقِ سَبِيْتَزِ الْأَمَامِيَّةِ ، وَإِذَا بِصَوْتِ طَقْطَقَةٍ يَتَرَدَّدُ مُغْلِنًا أَنَّ الْعَظْمَ قَدْ تَهَشَّمَ تَحْتَ وَقْعِ فَكِّهِ ، وَفَجْأَةً أَصْبَحَ النَّصْرُ حَلِيْفَ بَكِّ .

كَانَ سَبِيْتَزْ يُنَاضِلُ فِي بَسَالَةٍ وَلَكِنْ مَا إِنْ تَعَرَّضَتْ سَاقُهُ الْأُخْرَى الْأَمَامِيَّةُ لِنَفْسِ الْمَصِيْرِ حَتَّى لَمْ يَعْذُ يَقْوَى عَلَى الْاسْتِمْرَارِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَهَوَى عَلَى الْأَرْضِ مُرْغَمًا ، وَخِلَالَ بَضْعِ ثَوَانٍ كَانَ قَدْ غَاصَ تَمَامًا تَحْتَ أَقْدَامِ مَجْمُوعَةِ كِلَابِ الْإِسْكِيْمُو . وَرَغْمَ أَنَّ هَذِهِ النَّتِيْجَةُ لَمْ تَكُنْ مُتَوَقِّعَةً لِلْمَعْرَكَةِ إِلَّا أَنَّ الْأَفْوَاهَ الْمُتَلَهِّفَةَ تَلَقَّتِ الضَّحِيَّةَ بِلا تَمْيِيْزٍ .

فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَرْضِي الْقَاسِيَةِ يَكُونُ الْبَقَاءُ دَائِمًا لِلْأَصْلَحِ فَقَطْ ؛ إِذْ مِنْ الصَّعْبِ الشُّعُورُ بِمِثْلِ تِلْكَ الْأَحَاسِيْسِ الْمُعْتَادَةِ كَالْوَلَاءِ مَثَلًا ، فَهِيَ هُوَ ذَا سَبِيْتَزِ قَدْ

إلا أن بك أصر على رفض موقعه السابق في الفريق ، رغم أن فرانسوا وبيرو
أفضيا ما يقرب من الساعة في محاولة الإمساك به ، ولكنه نجح في أن يظل بعيداً
عن المنال .

وفي النهاية اضطر الرجال إلى تنحية سول - ليكس من موقع القيادة ؛ نظراً
لإلحاح مهمتهم بحيث لا يمكنهم ترك أفضل كلب لديهم ، إلا أن بك رفض
أن يعود ، إلى أن وضع فرانسوا هراوته جانباً ثم سلمه قيادة الفريق بعد ذلك ، وقد
ارتسمت على وجهه أمارات البهجة .



أنهزم وانتهت فترة زعامته في لحظة ، بل إنه الآن قد أصبح مجرد فريسة لتلثمهم عند
الجوع . وكان بك يراقب في جدل ذلك الفراء الأبيض وهو يتخضب باللون
الأحمر ، تحت وقع الأنياب الحادة لمجموعة كلاب الإسكيمو .

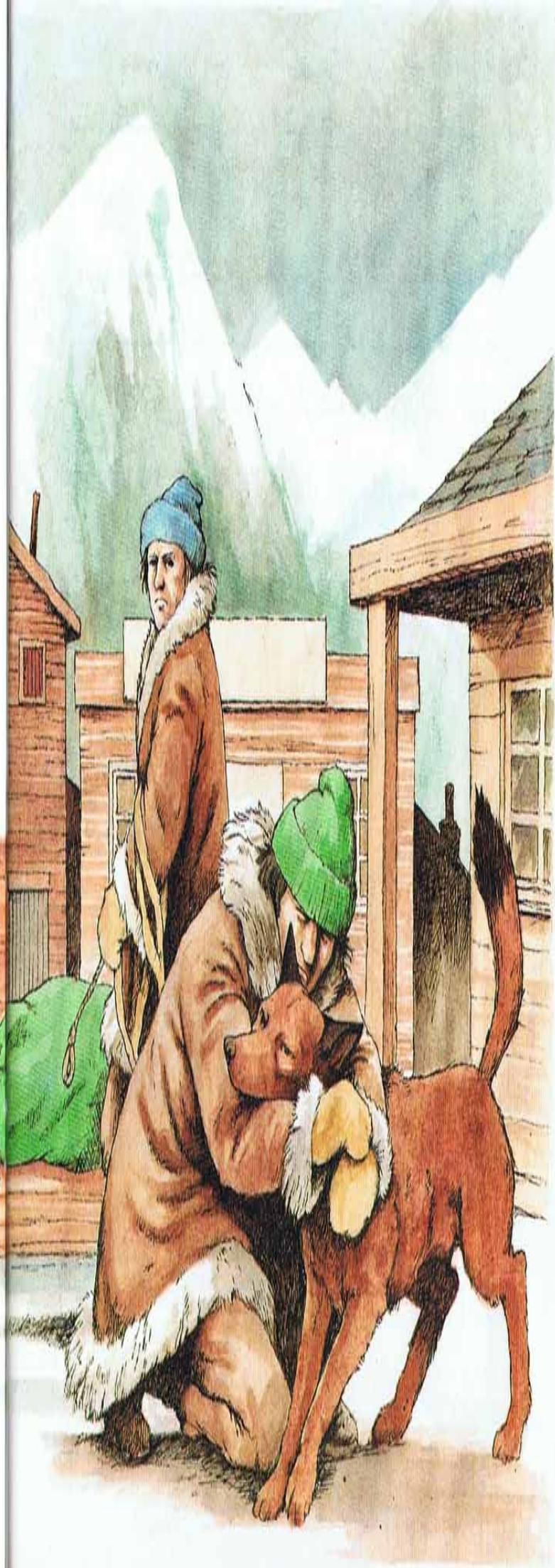
توقع بك بعد انتصاره أن يحل محل سبيتز بصفتهم قائداً للفريق ، ولكنه استشاط
غضباً عندما وجد أن فرانسوا قد وضع سول - ليكس في هذا المنصب أثناء إعداده
الفريق للرحلة التالية .

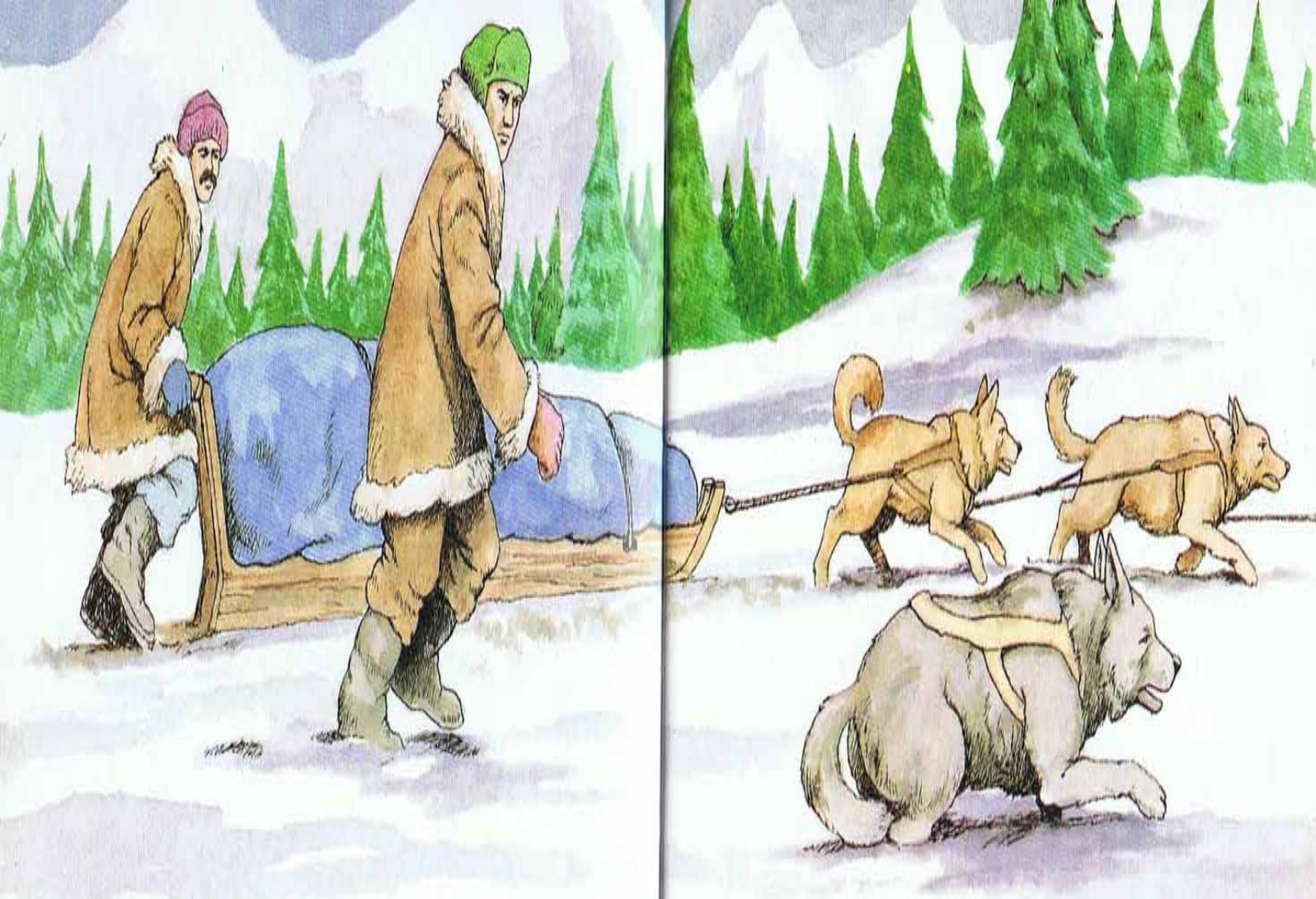
ولكن سول - ليكس كان يدرك مدى قوة بك ؛ لذلك سرعان ما كان يسرع
بالتخلي عن القيادة وهو في سعادة بالغة حين يقترب منه بك مزمجرًا ، ولكن
فرانسوا كان مصمماً على ألا يتسبب أحد من الكلاب في تعطيله ، فلوح لبك
بالهراوة محذراً ، فترجع الكلب متذكراً محنته السابقة مع هذا السلاح .

سرعان ما أثبت بك أنه جدير بالمنصب الذي تطلع إليه ، أما الكلاب التي دافع
عنها ضد سبيتر فقد تبينت سريعاً أنه لم يعد حاميمهم كما كان من قبل ؛ فهو لا
يحمل أي بادرة للتراخي في العمل ، وأي كلب لا يقدم أقصى جهده في عمله
يتم عقابه فوراً . وهكذا أصبح الفريق يعمل كوحدة واحدة فعالة مرة أخرى ،
وقطعت الكلاب الرحلة في زمن قياسي تحت قيادة زعيم الفريق الجديد
الحازم .

اجتاح السرور بيرو وفرنسا ، إلا أنهما لم يستمتعا طويلاً بذلك الذي صنعه بك
في الفريق ؛ إذ سرعان ما استدعتهما الحكومة الكندية ، واضطراً وهما في شدة
الأسف إلى أن يبيعا كلابهما .

وما إن حانت لحظة الفراق حتى بدأ الاكتئاب على فرنساو بصفة خاصة ، وإذا
بهذا الرجل الصامت ، في غمرة لحظة انفعال نادرة يلقي بذراعيه حول عنق بك
ثم يحتضن الكلب والدموع تنساب على خديه في صمت .





كُلُّ الْجُهُودِ الَّتِي كَانَ يَبْذُلُهَا رِجَالُ الْبَرِيدِ لِلْعِنَايَةِ بِهَا فِي نِهَآيَةِ كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ رِحْلَةِ الْعَدَابِ .

كَانَ دَافُ أَسْوَأَ حَالًا مِنْ أَقْرَابِهِ فِي الْفَرِيقِ ، وَسَرْعَانَ مَا أَنْصَحَ شِدَّةَ مَرَضِهِ ؛ إِذْ كَلَّمَا هَزَّتْهُ الرِّحَافَةُ عَلَا صِرَاحُهُ ، ثُمَّ بَدَأَ يَسْقُطُ أثنَاءَ الرِّحْلَةِ مَعَ أَنَّ الرِّجَالَ لَمْ يَجِدُوا أَيَّ كُسُورٍ بِعِظَامِهِ . وَأخِيرًا عَزَلَهُ سَائِقُ الرِّحَافَةِ عَنِ الْفَرِيقِ تَارِكًا إِيَّاهُ يَجْرِي فِي الْمُوَخَّرَةِ مِمَّا أَدَّى إِلَى تَحْطُمِ فُوَادِ ذَلِكَ الْكَلْبِ الْمُخْلِصِ ؛ إِذْ كَانَ عَمَلُهُ هُوَ كُلُّ مَا يَجِيءُ مِنْ أَجْلِهِ ، وَلَمْ يَقْوِ عَلَى رُؤْيَةِ كَلْبٍ آخَرَ يَشْغَلُ مَوْقِعَهُ فِي الْفَرِيقِ ، فَقامَ بِمُحَاوَلَةِ يَأْسِيَةِ لِيُحْلَ مَحَلَّ سُولِ - لِيَكْسَ الَّذِي كَانَ يَشْغَلُ أَقْرَبَ مَوْقِعٍ بِالنُّسْبَةِ لِلرِّحَافَةِ ، وَحِينَ دُفِعَ بِهِ اِكْتَفَى بِالتَّعْتُرِ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ .

وَعِنْدَمَا تَوَقَّفَ الْفَرِيقُ ، بَدَأَ دَافُ يَلُوكُ حَبْلَ الْجَرِّ ، فَتَحَرَّكَتِ الْكِلَابُ بَعْدَ ذَلِكَ

تَمَّ يَبْعُ فَرِيقِ الْكِلَابِ لِقَافِلَةِ الْبَرِيدِ الَّتِي تَحْمِلُ الْبَرِيدَ لِلْعَامِلِينَ فِي مَنَاطِقِ التَّنْقِيبِ ، حَيْثُ أَصْبَحَتِ الْكِلَابُ مُرْعَمَةً عَلَى جَرِّ تِلْكَ الرِّحَافَاتِ الثَّقِيلَةِ ذَهَابًا وَإِيَابًا ، عَبْرَ نَفْسِ الدَّرْبِ الْمَوْجِشِ الَّذِي اعْتَادُوا أَنْ يَسْلُكُوهُ مَعَ بِيرو وَفِرَانَسُوا .

وَأَصْبَحَتِ فتراتُ الرَّاحَةِ الْمَسْمُوحِ بِهَا بَيْنَ الرِّحَلَاتِ أَقْلُ مِمَّا اعْتَادَتْهُ الْكِلَابُ مِنْ قَبْلُ ؛ بِمَا أَدَّى إِلَى أَنْ تَفْقِدَ سَرِيعًا اسْتِمْتَاعَهَا السَّابِقَ بِالْعَمَلِ ، إِلَّا أَنَّ بَكَ ظَلَّ مُصِرًّا عَلَى بَدْلِ الْجَهْدِ الْكَامِلِ فِي قِيَادَةِ الْفَرِيقِ اسْتِنَادًا إِلَى الْفَخْرِ الَّذِي حَصَلَ عَلَيْهِ فِي عَمَلِهِ ، وَهُوَ نَفْسُ الْفَخْرِ الَّذِي أَدَّى إِلَى التَّحْوُلِ الْمَلْحُوظِ الَّذِي حَدَثَ عِنْدَ دَافِ وَسُولِ - لِيَكْسَ .

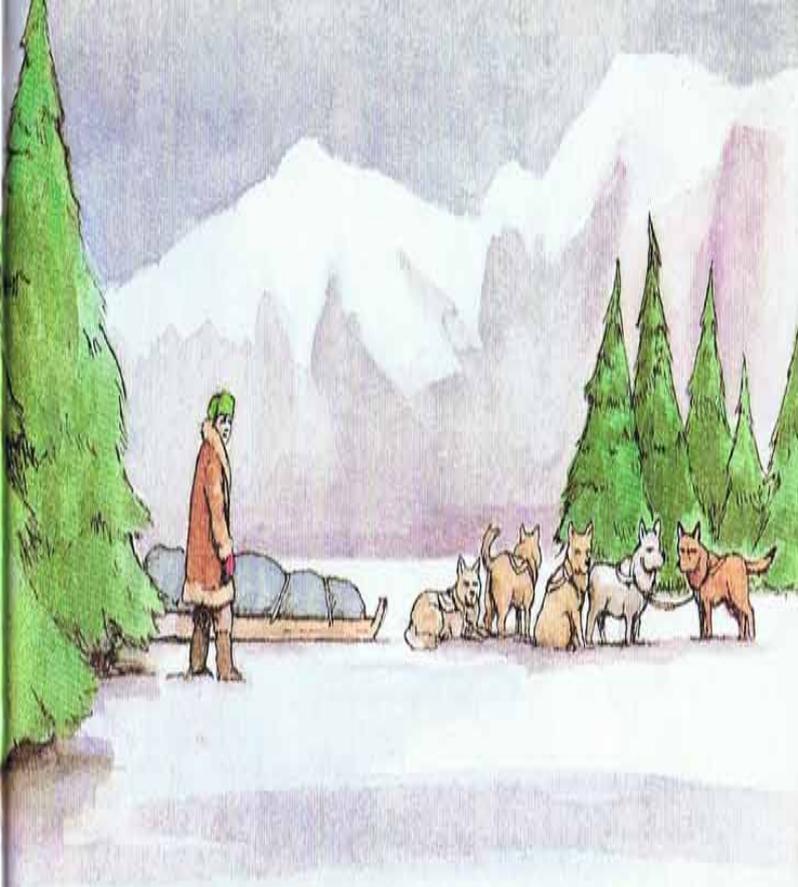
وَمَضَى بَعْضُ الْوَقْتِ عَلَى قِيَادَةِ هَذِهِ الْكَلْبَاتِ الَّتِي أَنْهَكَتْ وَأَصَابَهَا الْمَلَلُ ، فَبَدَأَتْ حَالَةُ الْكِلَابِ تَنْدَهْوَرُ سَرِيعًا ، وَبَاتَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنْهِيَارُ لِيَأْقِيَهَا ، بِالرَّغْمِ مِنْ



بها ، إلى حد أنها كانت بالكاد تَضَعُ القدمَ أمامَ الأخرى ؛ فقد قَطَعَتْ ما يَقْرُبُ
من ألفينِ وَخَمْسِمِائَةِ مِيلٍ في أقلِّ منْ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ ، الأمرُ الَّذِي اسْتَفْعَدَ ما نَبَقِيَ
من قُوَّاهَا .

وما إنْ وَصَلُوا إلى المَدِينَةِ التَّالِيَةِ حَتَّى سُمِحَ لَهَا بِالرَّاحَةِ لِمُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَلَكِنْ
بِانْقِضَاءِ تِلْكَ المَهْلَةِ انْقَضَى أَيُّ اِحْتِمَالٍ لِعَوْدَتِهَا لِلْعَمَلِ فِي قَافِلَةِ البَرِيدِ ، بَلْ إنْ
أَكْثَرَ السَّائِقِينَ نَفَاؤُلاً لَمْ يَأْمُلْ فِي إِمْكَانِيَّةِ عَوْدَتِهَا لِلْعَمَلِ . وَهَكَذَا تَمَّ بِيْعُ فَرِيْقِ
الْكِلَابِ مَرَّةً أُخْرَى .

وَكَانَ المَلَأُكَ الجُدُّدُ مِنَ الأَمْرِيكِيِّينَ الَّذِيْنَ وَفَدُوا أَيْضاً لِلبَحْثِ عَنِ الذَّهَبِ ،



وَلَكِنْ بِدُونِ الرُّحَاةِ ، حَيْثُ ظَلَّ دَافٌ واقِفاً فِي مَوْقِعِهِ القَدِيمِ وَأمامَ العَرَبَةِ الثَّابِتَةِ وَهُوَ
يَنْطَلِعُ إلى السَّائِقِ بِنَظَرَاتٍ يُرْتَى لَهَا ، فَتَأَثَّرَ الرَّجُلُ بِمَظْهَرِهِ المُشِيرِ لِلشَّفَقَةِ إلى حَدِّ أَنَّهُ
أَعَادَ دَافٌ إلى مَوْقِعِهِ السَّابِقِ فِي الفَرِيْقِ ، بِالرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ لِيَاقَةِ الكَلْبِ
لِلْعَمَلِ . وَأَتَابَ دَافٌ فَرِحَ غامِرٌ إِزَاءَ تَصْمِيمِ السَّائِقِ عَلَى تَجَاهُلِ صرْخَاتِهِ
اللاإِرادِيَّةِ مِنَ الأَلَمِ ، إلى جَانِبِ نَعْتَرِهِ المُسْتَمِرِّ .

وَلَكِنْ فِي اليَوْمِ التَّالِيِ لَمْ نَعُدْ شَهَامَةُ دَافٍ تَكْفِي لَأَنْ يَتَخَطَّى ضَعْفُهُ
الجُسْمَانِيَّ ؛ إِذْ أَصْبَحَ لا يَقْوَى حَتَّى عَلَى النُّهُوضِ عَلَى قَدَمَيْهِ ، فَاسْتَلْقَى عَلَى
الأَرْضِ وَهُوَ يَعْوِي فِي أَسَى ، فِي حِينِ كَانَ الفَرِيْقُ يَلُوحُ أمامَ بَصَرِهِ ثُمَّ يَخْتَفِي .

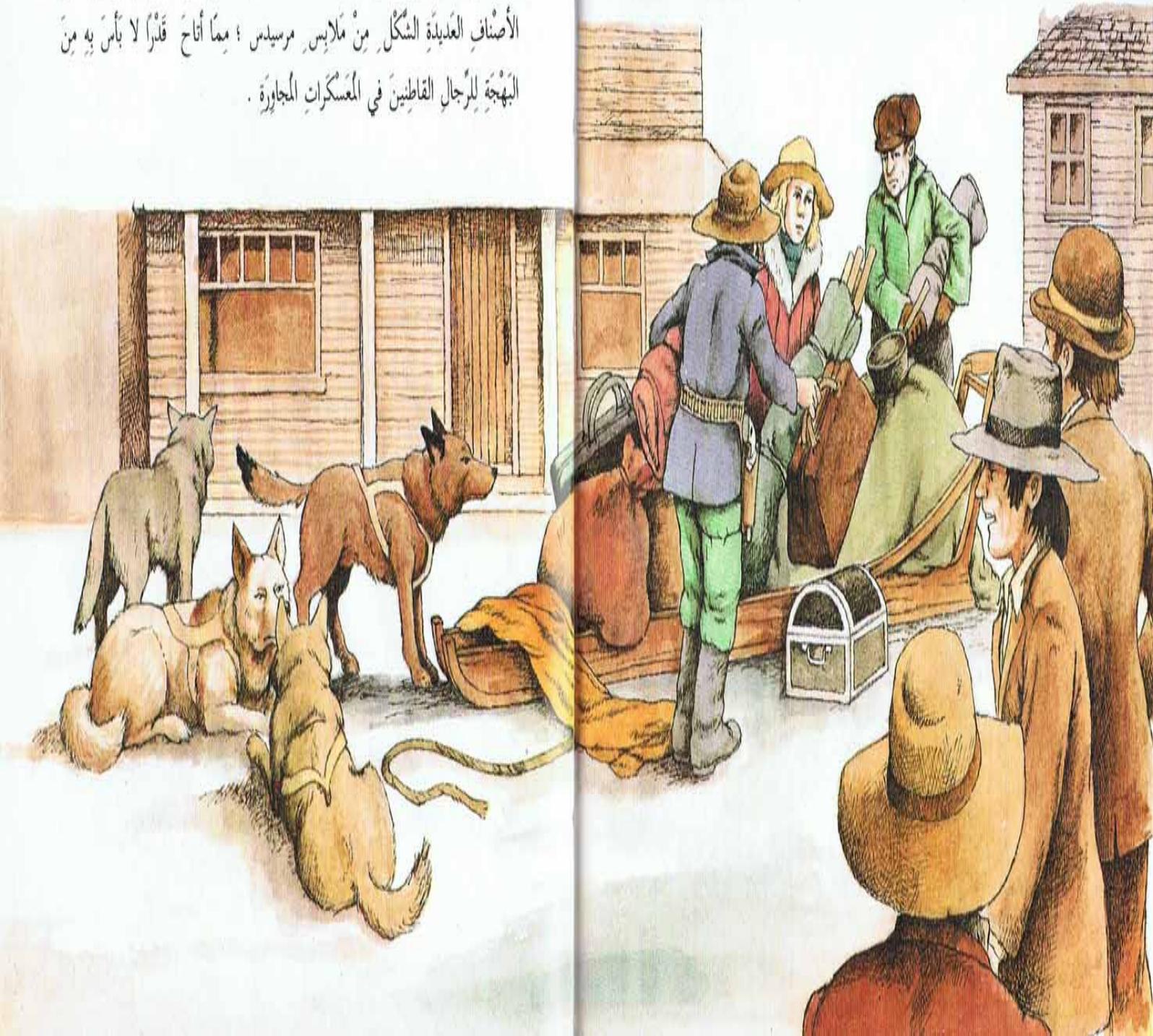
وَلَمْ يُسْمَحْ لِدَافٍ بِالرَّيْدِ مِنَ المَعَانَةِ ، فَعَطَفَ عَلَيْهِ سَائِقُهُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَدَوَّتْ طَلْفَةٌ
وَاحِدَةٌ كَانَتْ كَافِيَةً لَأَنْ تَمْنَحَ الرَّاحَةَ أُخيراً لِهَذَا الكَلْبِ المَحْطَمِ . وَنَطَلَعَتْ أَقْرَانُ
دَافٍ أَيْضاً إلى الرَّاحَةِ مِنْ جَرِّ إِسْتِمْرَارِهَا فِي المَعَانَةِ المُضْنِيَّةِ وَالإِجْهَادِ الَّذِي حَلَّ

شعر بك بالكآبة وهو يتأمل وضعه الجديد، بعد أن لاحظ في توجس الجور
 العام الذي يدل على عدم الكفاءة؛ إذ عندما يعتمد رجل وكلب كلاهما على
 الآخر تماماً يكون الهلاك مصير الكلب الذي يتصف مالكه بالعجز؛ لذا فقد أحجم
 بك عن أن ياتمن هؤلاء الملاك الجدد على حياته، وتأكدت شكوكه تماماً حين
 بدءوا في شحن الزحافة؛ إذ لم يتمكنوا من طي خيمتهم كما يجب، وحملوا
 أطباقاً متسخة وأكروا من المتعلقات المترية فوق الزحافة، وبطريقة لا تمت بأي صلة
 للحمولة المنظمة والسهلة التوزيع التي اعتادها بك.

كذلك لم يتفق المعامرون الثلاثة فيما بينهم حتى حول أسلوب وضع هذه
 الأصناف العديدة الشكل من ملابس مرسيدس؛ مما أتاح قدرًا لا بأس به من
 البهجة للرجال القاطنين في المعسكرات المجاورة.

وكانوا عديمي الخبرة تماماً بطرق الشمال. وكانوا مجموعة مكونة من ثلاثة
 أشخاص، من بينهم رجل في متوسط العمر يدعى «شارلز»، وزوجته
 «مرسيدس» وهي امرأة حليمة، غيّر واقعية.

وأخيراً كان الثالث أهاها «هال»، وهو شخص متعطر وقاس وبلا خبرة،
 يحمل في خيلاء مسدسًا ضخمًا وسكينًا للصيد فوق ملبسه الجديدة ذات الطابع
 الشمالي.



وأخيراً ، وَمِنْ مُنْطَلَقِ الشَّفَقَةِ بِالْكِلابِ ، تَطَوَّعَ الرَّجَالُ بِتَقْدِيمِ النَّصِيحَةِ لِهَؤُلَاءِ الْقَادِمِينَ الْجُدِّدِ ، بِضُرُورَةِ تَخْفِيفِ أَحْمَالِهِمْ وَإِعَادَةِ تَوْزِيْعِهَا ، حَتَّى تَتِمَّكَنَ الزَّحَافَةُ مِنَ السَّيْرِ بِسُهُولَةٍ . وَلَكِنَّ هَال تَجَاهَلَهُمْ ، وَبَدَأَ يُرْضِي غُرُورَهُ بِالصِّيَاحِ فِي الْكِلابِ ، فَأَخَذَتْ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتُ الْبَائِسَةَ تَقْفِزُ عَلَى أَقْدَامِهَا ، بِالرَّغْمِ مِمَّا هِيَ فِيهِ مِنْ إِجْهَادٍ وَضَغْطٍ بِسَبَبِ أَحْزَمَةِ الصَّدْرِ .

وَرَأَتْ تُحَاوِلُ فِي يَأْسٍ تَحْرِيكَ هَذَا الْحَجْمِ الضَّخْمِ غَيْرِ الْمُنْظَمِ الَّذِي يَجْتُمُّ فَوْقَ كَوَاهِلِهَا ، وَلَكِنَّ مَجْهُودَاتِهَا ضَاعَتْ سُدىً ؛ إِذْ لَمْ تَتَحَرَّكَ الزَّحَافَةُ ، وَاسْتَشَاطَ هَال غَضَبًا أَمَامَ هَذَا الدَّلِيلِ الدَّامِغِ عَلَى عَجْزِهِ . وَبَدَلًا مِنْ مُحَاوَلَةِ إِصْلَاحِ الْمَوْقِفِ رَاحَ يَضْرِبُ الْكِلابَ وَيَجْلِدُهَا بِسَوْطٍ كَبِيرٍ ، فَتَدَخَّلَتْ مَرْسِيدَسٌ وَهِيَ تَبْكِي قَائِلَةً :

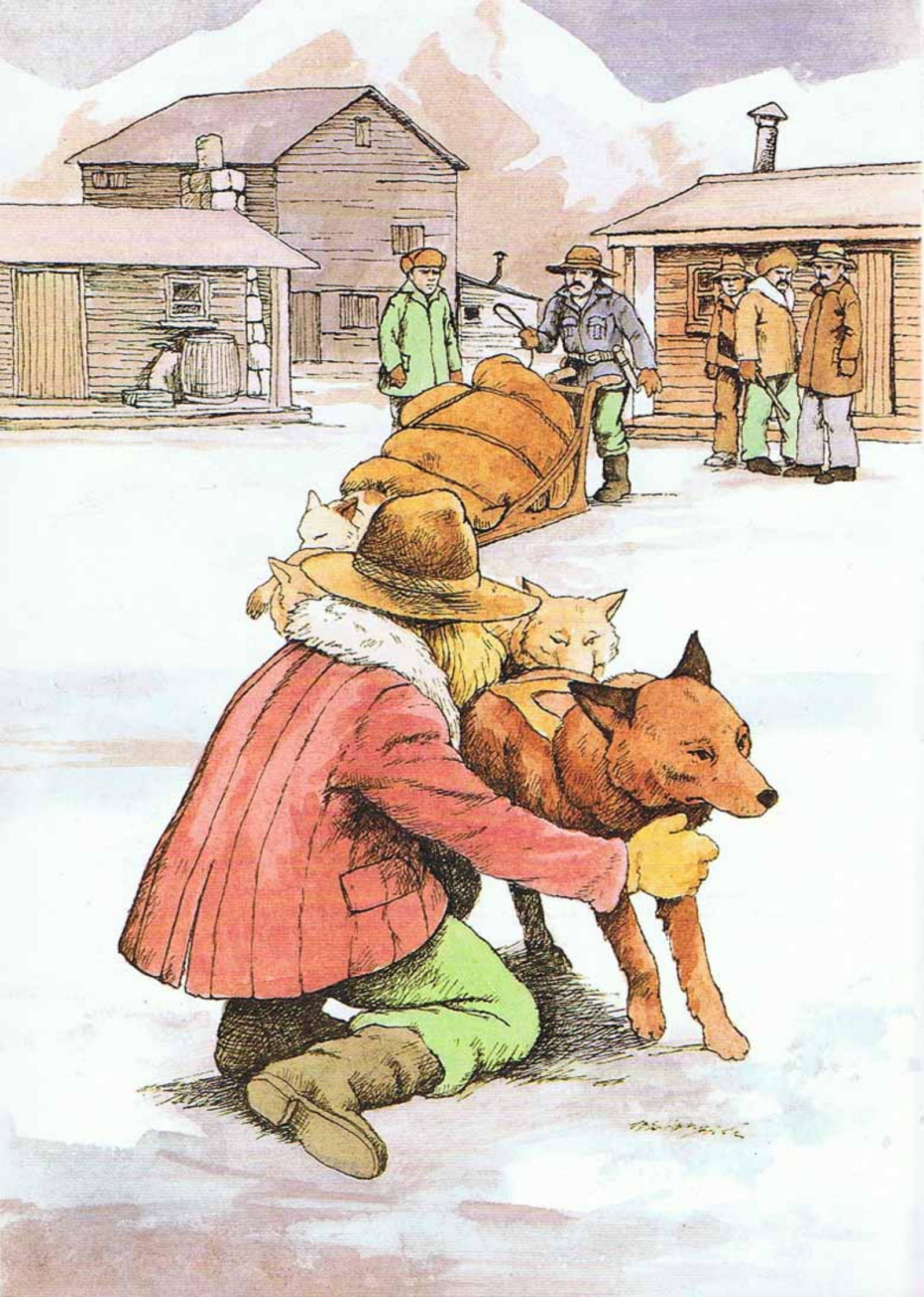
« كَفَى ، يَا هَال ! يَجِبُ أَلَّا تَفْعَلَ ذَلِكَ مَعَ الْكِلابِ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَعِدَنِي أَلَّا تَكُونَ غَنِيْفًا مَعَهَا ، وَإِلَّا فَلَنْ أَكْمِلَ الرِّحْلَةَ . »

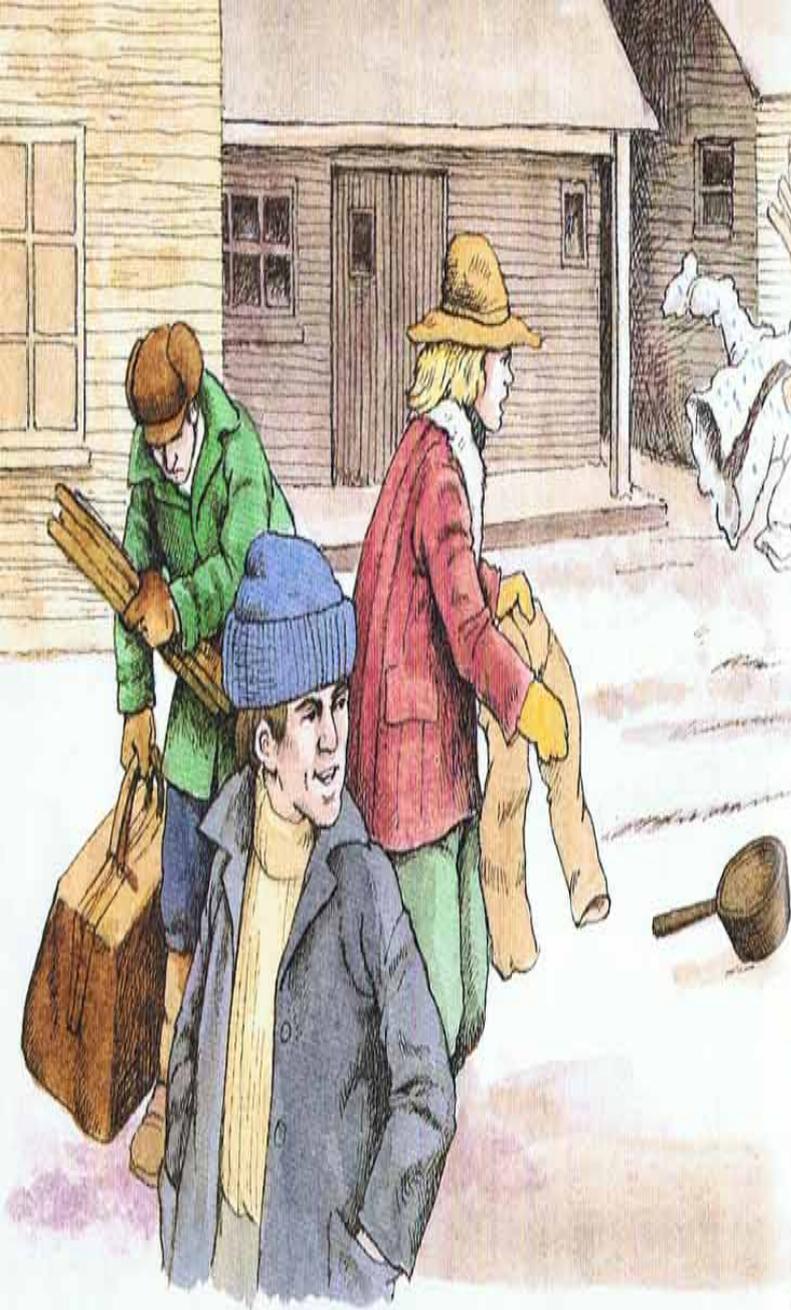
أَجَابَهَا أَخُوهَا قَائِلًا :

« أَتُرَكِّنِي وَشَأْنِي ! فَأَنْتِ لَا تَعْرِفِينَ شَيْئًا عَنِ الْكِلابِ . يَجِبُ أَنْ تُضْرَبَ لِأَنَّهَا كَسَلِي . سَلِي هَؤُلَاءِ الرَّجَالَ فَعَلَى مَا يَبْدُو أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْكَثِيرَ . »

رَمَقَتْ مَرْسِيدَسُ الرَّجَالَ فِي تَوْسَلٍ ، فَاسْتَدَارَ الْعَدِيدُ مِنْهُمْ مُبْتَعِدِينَ فِي اِشْمِزَازٍ ، وَأَخِيرًا قَالَ أَحَدُ الرَّجَالِ : « هَذِهِ الْكِلابُ لَيْسَتْ كَسَلِي ، إِنَّهَا مُجْهَدَةٌ . وَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِعْلًا هُوَ الرَّاحَةُ لَا الضَّرْبُ . »

وَلَكِنَّ هَال لَمْ يَتَرَدَّدْ فِي ضَرْبِ الْكِلابِ مَرَّةً أُخْرَى وَبِقَسْوَةٍ أَشَدَّ ؛ مِمَّا أَلَمَ مَرْسِيدَسَ فَحَاوَلَتْ أَنْ تُغْرِيَ الْكِلابَ بِالتَّحْرُكِ مُسْتَحْدِمَةً حِيلَتَهَا الْمُحِبَّةَ (البُكَاءَ) ؛ إِذْ كَانَتْ تَعْرِفُ أَنَّ الرَّجَالَ لَا يُمَكِّنُهُمْ مُقَاوَمَةُ دُمُوعِهَا ؛ فَلْتَحَاوَلْ مَعَ الْكِلابِ ، وَلَكِنَّ بَكَ كَانَ أَقْلًا اسْتِجَابَةً حِينَ أَلْقَتْ بِذِرَاعَيْهَا حَوْلَ عُنُقِهِ وَهِيَ تَقُولُ لَهُ فِي نَبْرَاتٍ شَجِيَّةٍ :

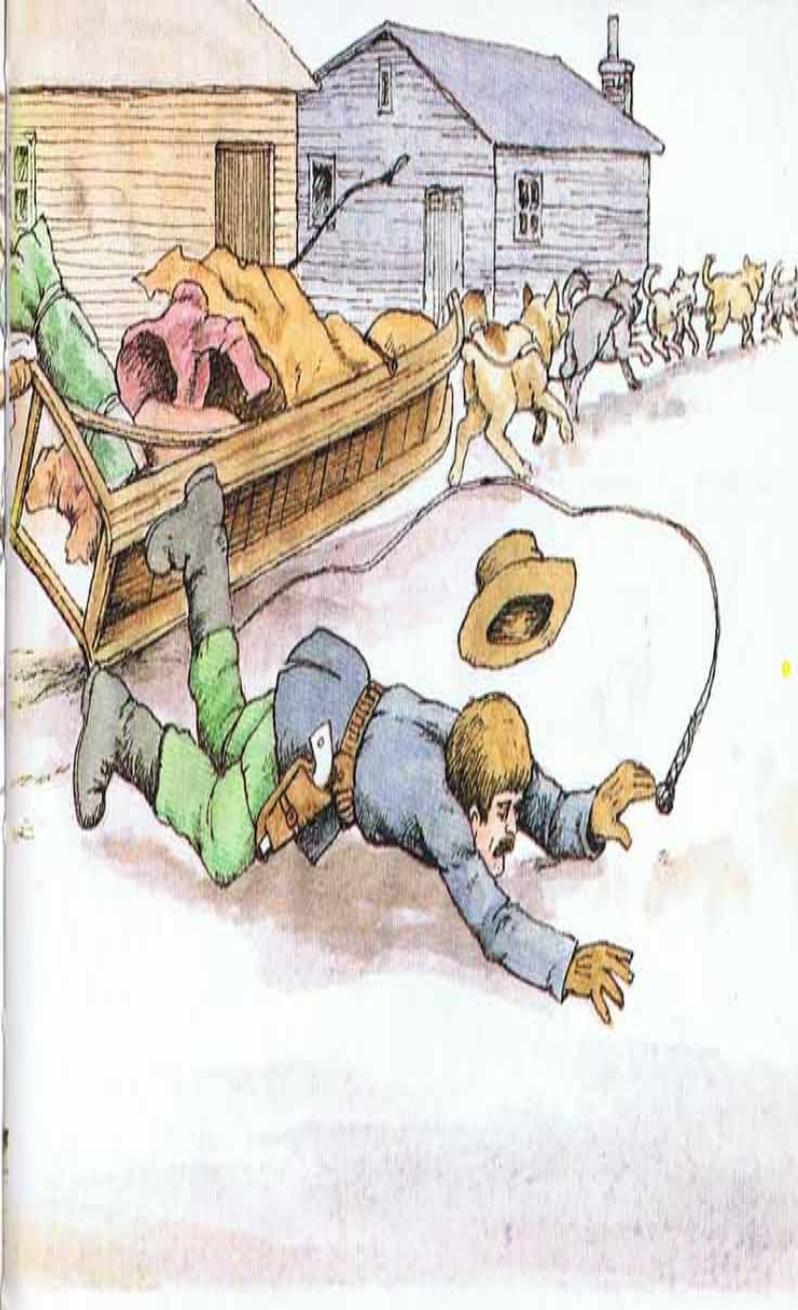




أذعن هال أخيراً لهذه النصيحة، وبدأت الرُحافة تتحرك، إلا أن هذا التقدّم
للأسف لم يستمر؛ إذ تازحت الحمولة الثقيلة العلوية عند أول منعطف وتعثرت
الأشياء العديدة فوق الطريق.

ابتهجت الكلاب بهذا التخفيف المفاجيء للحمولة وهاجت وهاجت في
اندفاع، متجاهلة تماماً صرخات هال. وما لبث هذا التدافع أن طرح هال
أرضاً، وانزلقت الرُحافة فوق جسده، ثم قفزت الكلاب إلى الطريق وهي تعدو.

وأخيراً أمكن الإمساك بالكلاب، ونصح هذا الثلاثي المنكود بضرورة تخفيف
الحمولة، خصوصاً وأن مثل هذا النوع من الرفاهية كالمعلبات الغذائية قد انكشف



« أيها المسكين، بل أيها الأعرأء المساكين! لماذا لا تجديون بيدي؟ إنكم لن
تعرضوا للضرب عندئذ. افعلوا ذلك من أجلي أنا.»

زم مرشد المجموعة سفتيه في غضب شديد من قسوة هال، وقبل أن يتركهم قال
له وهو في سورة الغضب:

« لا يعنيني ما يحدث لك، ولكن لصالح الكلاب أقول لك هذا. إنك
ستساعدنا كثيراً لو أفلت هذه الرُحافة، من الشج؛ فزلاقتها تتجمد بسرعة. ألق
بنفسك عند قائمة العزبة في اتجاه اليمين ثم في اتجاه اليسار؛ حتى تلين الرُحافة
ويمكنها التحرك.»

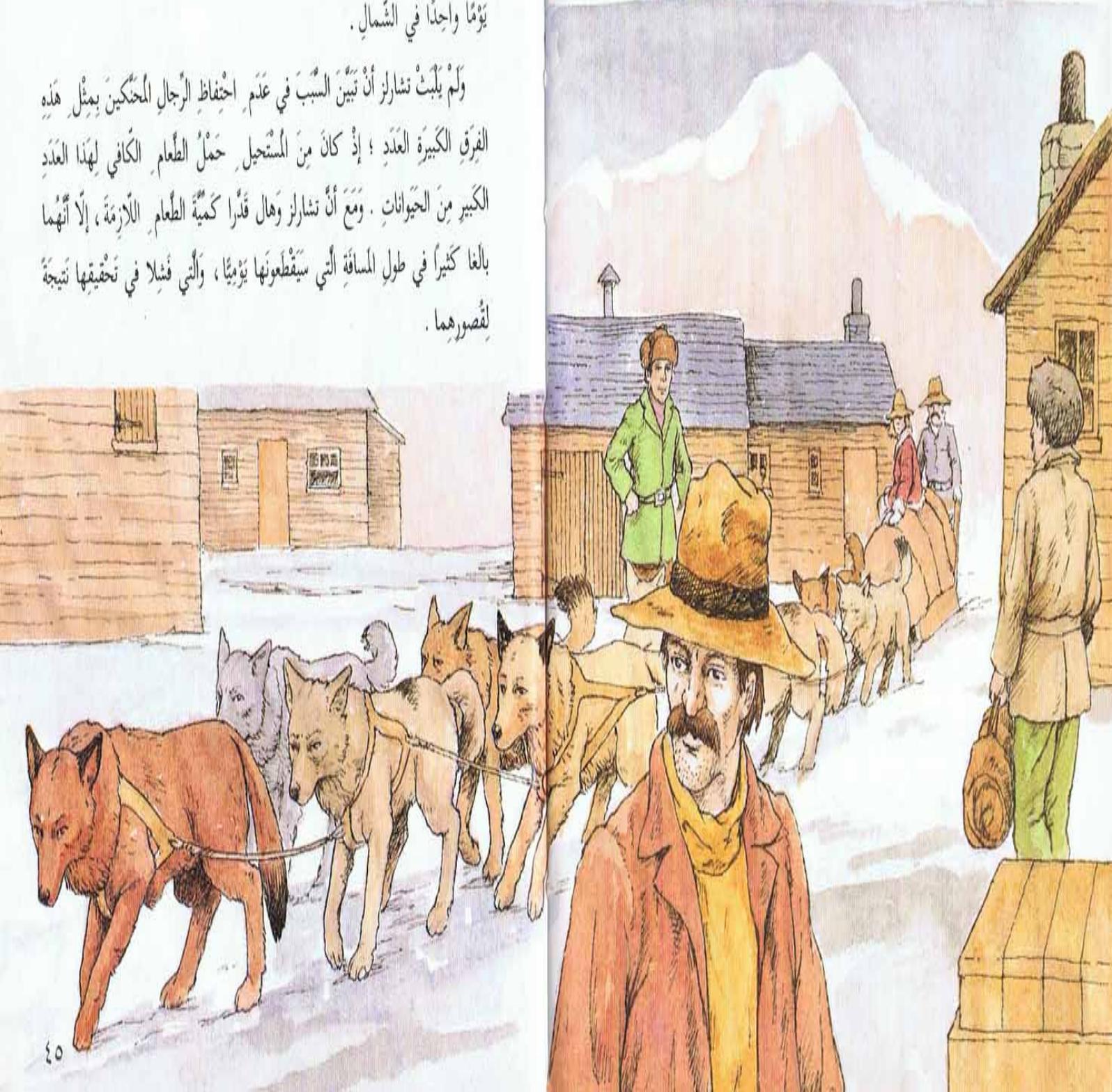
أمره للملأ ، فبدأت مرسيدس في البكاء مرة أخرى ، وأخذت تنوح على كل قطعة يتم التخلص منها . وعندما تبين أن ذلك غير مؤثر بدأت تزيل حتى الأسباب الضرورية .

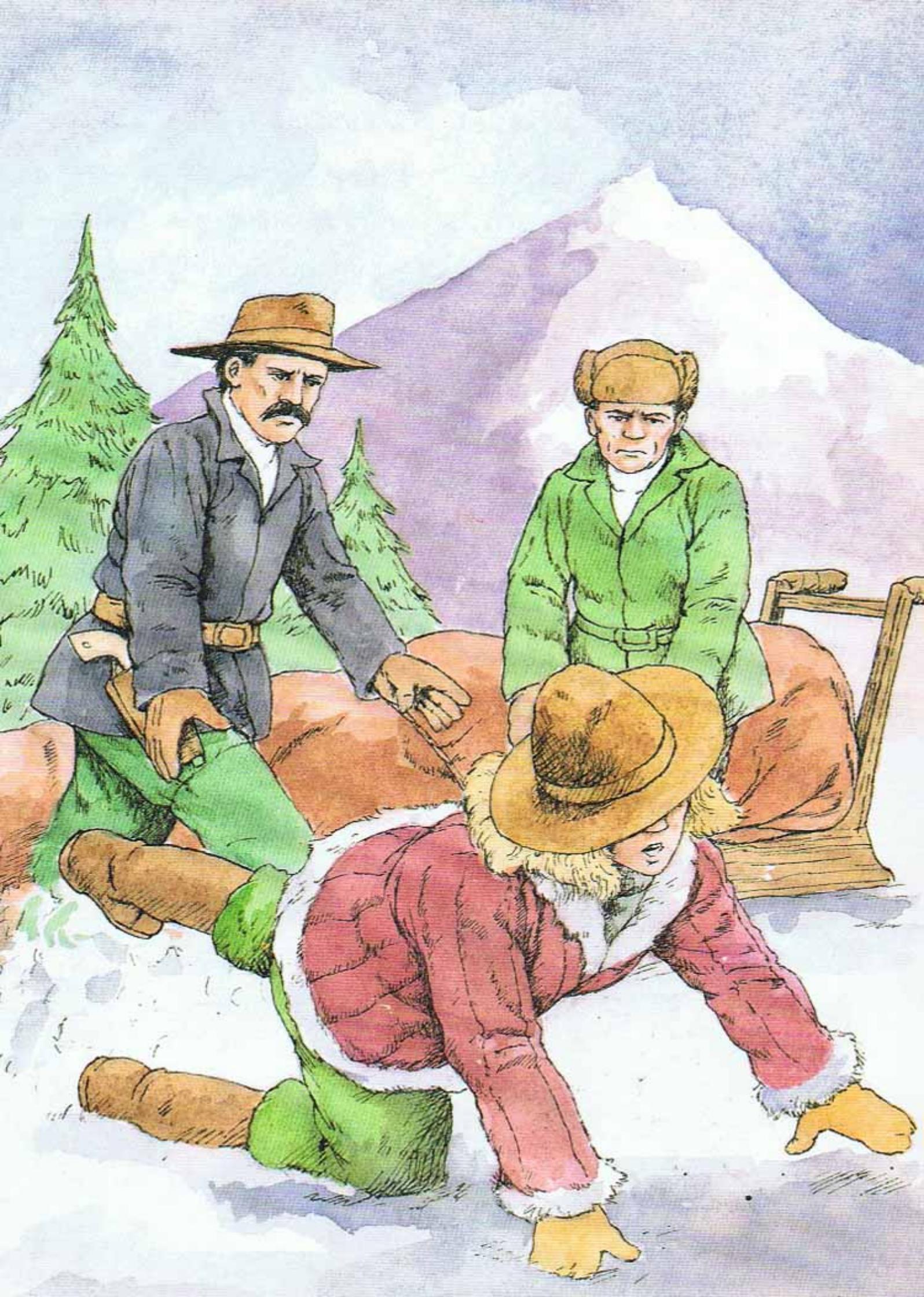
وبعد كثير من المجادلات وإعادة التنظيم بدأت الحمولة تأخذ تدريجياً شكل المعدات الطبيعية ، وإن كانت لا تزال ضخمة . ونصح تشارلز بشراء المزيد من الكلاب ، فاستجاب لذلك على الفور ، ولكن الكلاب التي اشتراها لم تكن كلاب

الإسكيمو الأصلية أو حتى كلاباً قوية مثل بك ؛ لذا كانت بلا فائدة ؛ إذ إن خمسة كلاب من السنة لم يكن صوفها طويلاً ليقيها الرياح الباردة ، إلى جانب أنها جميعاً كانت في حالة من اليأس وعدم القدرة على التكيف مع ظروفها الجديدة .

وما إن تمكن هذا الثلاثي السيئ التنظيم من الانطلاق حتى بدأ تشارلز يشعر بزهو مفرب بكلايه الأربعة عشر ، زعم حقيقة الموقف وهي أن ثمانية كلاب منها كانت في شدة الإعياء ، في حين كانت السنة الأخرى غير قادرة على الاستمرار يوماً واحداً في الشمال .

ولم يلبث تشارلز أن تبين السبب في عدم احتفاظ الرجال المحنكين بمثل هذه الفرق الكبيرة العدد ؛ إذ كان من المستحيل حمل الطعام الكافي لهذا العدد الكبير من الحيوانات . ومع أن تشارلز وهال قدرا كمية الطعام اللازمة ، إلا أنهما بالغا كثيراً في طول المسافة التي سيقطعونها يومياً ، والتي فشلا في تحقيقها نتيجة لقصورهما .





وَلَمْ تَلْبَثِ الْمُؤْنُ الْغِذَائِيَّةُ الضَّئِيلَةُ أَنْ نَفِدَتْ نَتِيجَةً لِسُوءِ التَّنْظِيمِ ؛ إِذْ كَانَتْ الْكِلَابُ السِّتَّةُ الْجَدِيدَةُ جَوْعَى عَلَى الدَّوَامِ ، شَأْنَهَا شَأْنُ بَكْ حِينَ وَصَلَ إِلَى الشَّمَالِ ، إِلَّا أَنَّهَا عَلَى الْعَكْسِ مِنْهُ لَمْ تَتَأَقَّلَمْ جَيِّدًا مَعَ حَيَاتِهَا الْجَدِيدَةِ ، وَاضْطُرَّ هَالُ إِلَى إِطْعَامِهَا ضِعْفَ الْمُقَرَّرَاتِ . وَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَدَأَ يُطْعِمُ الْكِلَابَ كُلَّهَا مَزِيدًا مِنَ الطَّعَامِ ؛ لِأَنَّ قُدْرَةَ كِلَابِ الْإِسْكِيمُو الْمُجْهَدَةِ عَلَى الْجَرِّ كَانَتْ تَضَعُفُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ تَشْتَهِي الرَّاحَةَ لَا الطَّعَامَ .

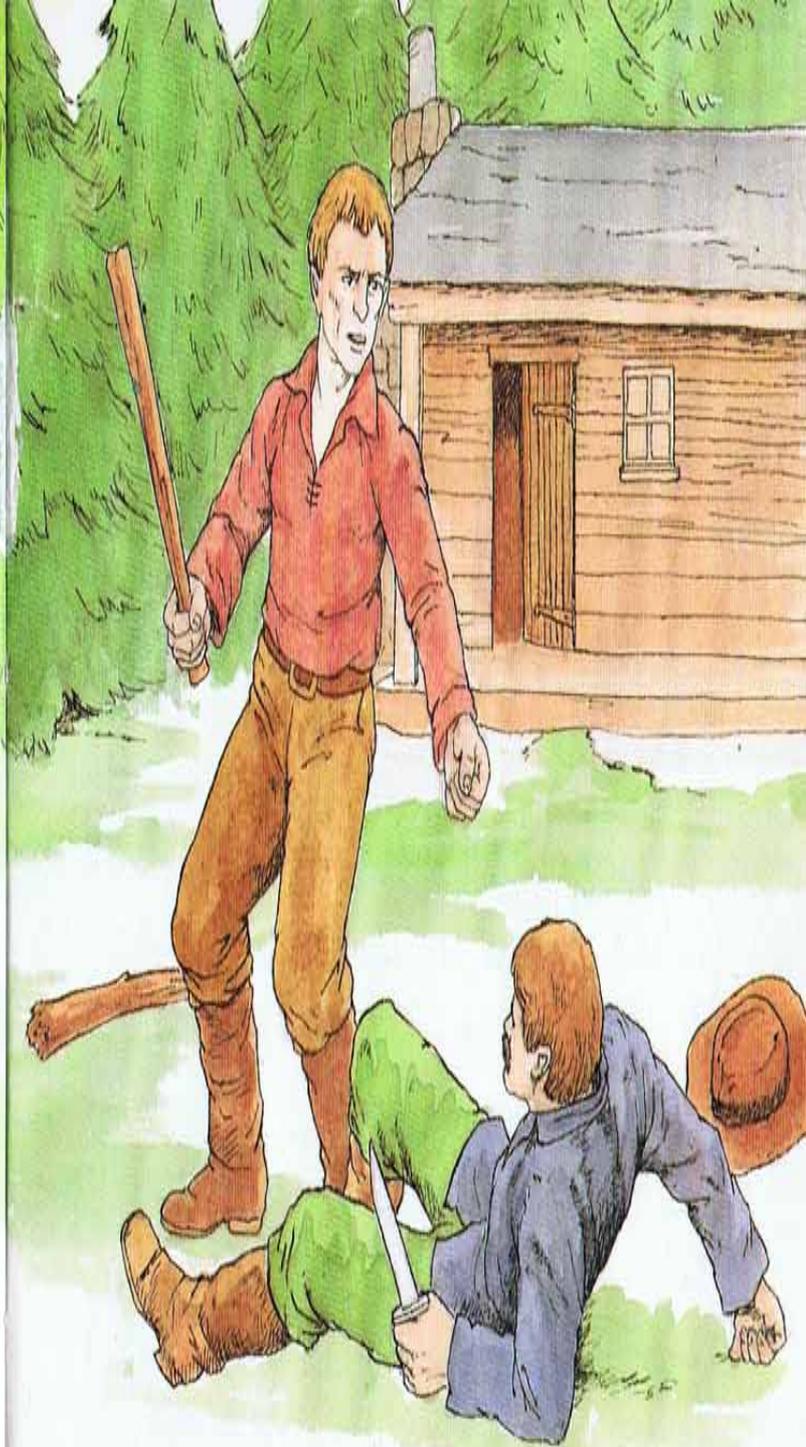
وَقَدْ لَعِبَتْ مَرْسِيدُ دَوْرًا فِي سُرْعَةِ نَفَادِ الْمَخْزُونِ الضَّئِيلِ ، مِنْ خِلَالِ قِيَامِهَا بِإِخْتِلَاسِ الطَّعَامِ لِلْكِالِبِ فِي مُحَاوَلَةٍ يَائِسَةٍ مِنْهَا لِإِظْهَارِ الْحَنَانِ ، وَلَمْ يَمُضْ وَقْتُ طَوِيلٌ حَتَّى أَصْبَحَتْ الْكِلَابُ فِي عُسْرِ شَدِيدٍ .

وَمَا إِنْ اكْتَشَفَ هَالُ مَدَى قِلَّةِ الطَّعَامِ الْمَتَّبَقِيِّ حَتَّى بَدَأَ يُطْعِمُ الْكِلَابَ نِصْفَ الْمُقَرَّرَاتِ الْغِذَائِيَّةِ ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ يَحْتُمُّ عَلَى الْإِسْرَاعِ فِي الْخَطِيءِ .

وَقَدْ بَدَأَ هَذَا الْأَمْرُ مُسْتَحْيِلًا ؛ لِأَنَّ الْفَرِيقَ الْأَصْلِيَّ كَانَ يُنَاضِلُ فِي مَشَقَّةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ نَتِيجَةً لِتَحْمُلِهِ وَحْدَهُ مَسْئُولِيَّةَ الْإِسْرَاعِ ، عِلَاوَةً عَلَى أَنَّ الْمَالِكِينَ الْجُدُدَ لَمْ يَكُونُوا عَلَى قَدْرِ كَبِيرٍ مِنَ الْكِفَاءَةِ ؛ حَيْثُ إِنَّهُمْ نَادِرًا مَا كَانُوا يُغَادِرُونَ الْمُعَسَّكَرَ قَبْلَ انْتِصَافِ النَّهَارِ أَوْ انْقِضَائِهِ ؛ مِمَّا أَدَّى إِلَى تَقْلُصِ يَوْمِ الْعَمَلِ إِلَى مُجَرَّدِ سُوِيَعَاتٍ قَلِيلَةٍ مِنَ الْإِنْدِفَاعِ غَيْرِ الْفَعَالِ ، شَأْنُ الْكِلَابِ فِيهَا مِنَ الْإِجْهَادِ شَأْنُ أَيِّ يَوْمٍ كَامِلٍ مِنْ أَيَّامِ الْجَرِّ الْعَادِيَّةِ . وَقَدْ بَدَأَتْ الْعِلَاقَةُ تَزْدَادُ تَفَكُّكًا بَيْنَ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ الثَّلَاثَةِ ، وَتَلَاشَى مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ أَيُّ صُورَةٍ لِلتَّنْظِيمِ ، حَتَّى إِنْ الْجِدَالَ بَدَأَ يَحْتَدِمُ بَيْنَهُمْ لِأَبْسَطِ الْمَهَامِ .

وَكَانَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمَا مُقْتَنِعًا بِأَنَّهُ أَدَّى الْعَمَلَ الَّذِي يَفُوقُ طَاقَتَهُ ، أَمَا مَرْسِيدُ فَكَانَتْ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا سِوَى قِيَامِهَا بِدَوْرِ الْأُنْثَى الضَّعِيفَةِ ، وَلَمْ يَعُدْ لَدَيْهَا مِنَ الْوَقْتِ مَا يَسْمَحُ لَهَا بِالْبُكَاءِ عَلَى الْكِلَابِ .

وَأَصْبَحَتْ كُلُّ دُمُوعِهَا مُكْرَسَةً لِشَخْصِهَا هِيَ فَقَطْ ، وَقَدْ أَبْدَى تشارلزُ وَهَالُ نَحْوَهَا شَيْئًا مِنَ الْحَنُوِّ ، وَلَكِنَّ هَذَا الْأَمْرَ جَعَلَهَا تَظَلُّ أَقْلًا تَعَاوَنًا مَعَهُمَا ، بَلْ إِنَّهَا

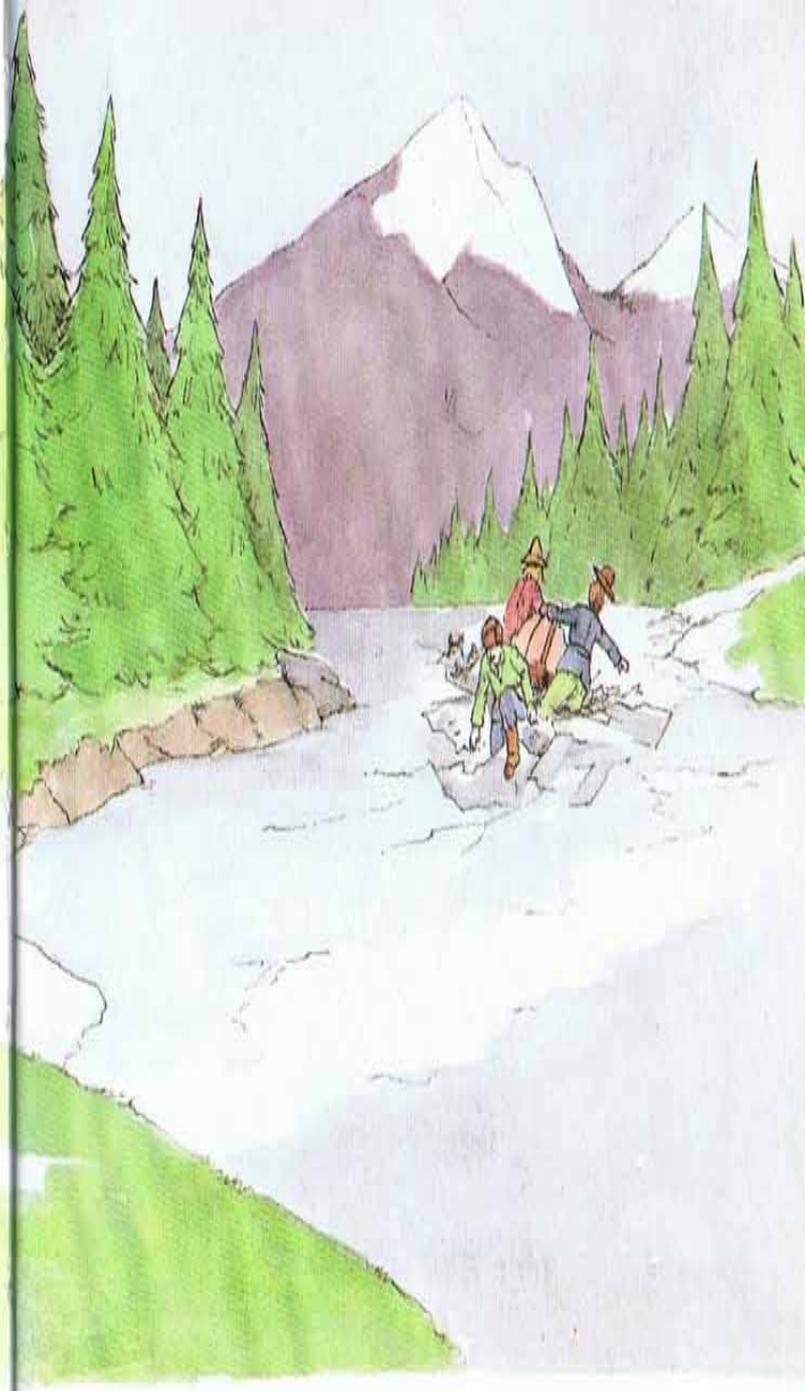
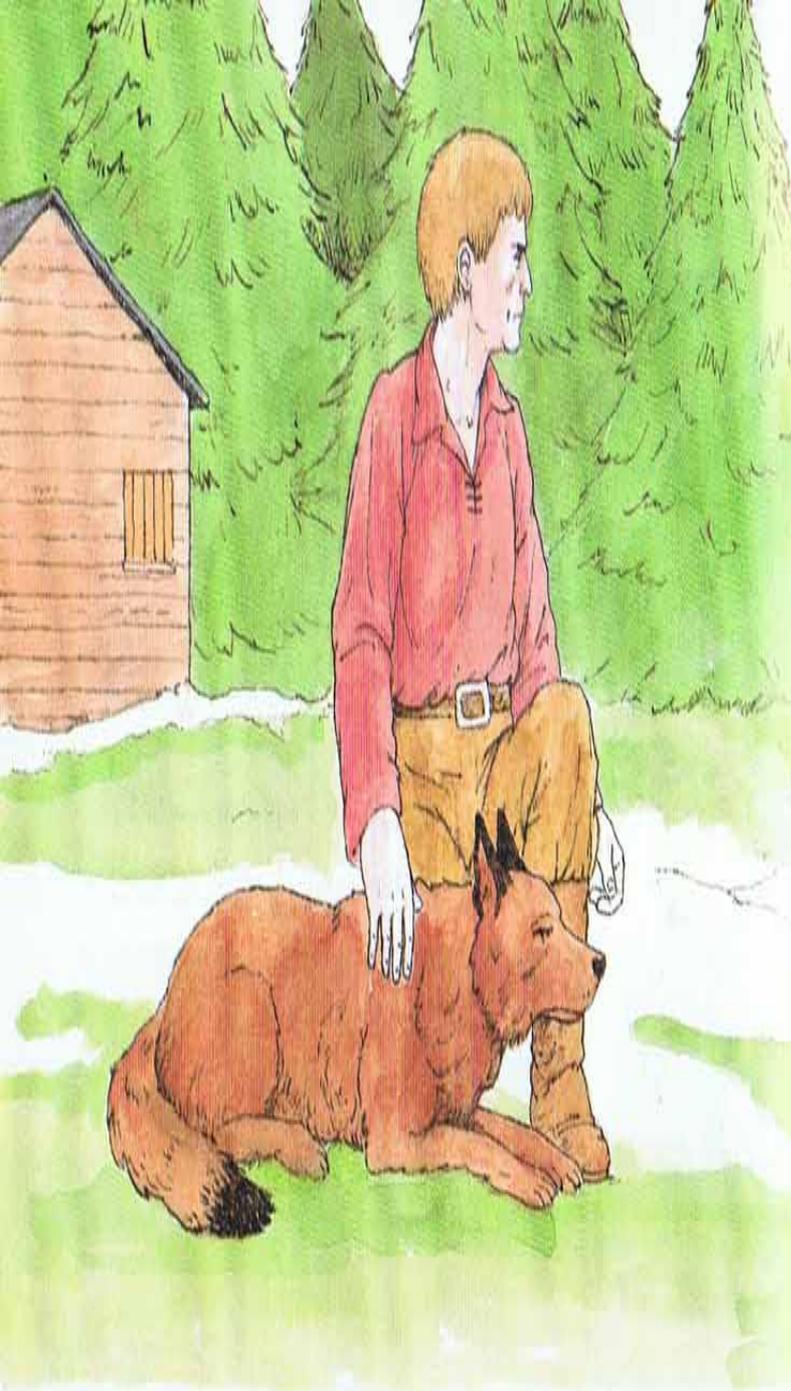


نَعُدُّ نِلكَ الحَيَواناتِ البائِسةَ تَمَلِكُ مِنَ القُوَّةِ ما يَسْمَحُ لَها بِالتَّغَلُّبِ عَلى نِلكِ
المَعوقاتِ ، وَقَدْ تَمَّ القَضاءُ عَلى عَدَدٍ مِنَ الكِلابِ حِينَ فَاقَتْ مَعانِئَها حَدَّ
الاحْتِمالِ .

تَزايِدُ عَنفُ هالِ مَعَ اِزديادِ يابِسِهِ ، إِلا أَنَّ الكِلابَ أَصبَحَتْ لا تَكَادُ تَشعُرُ بِقَسوَةِ
سَوَطِهِ ؛ فَهي تَتَحَرَّكُ كالأَلابِ وَبِلا اذُنِي اهِتمامِ ، وَقَدْ غَلَبَتِها الإِرهاقُ . وَكانَ
النِّظامُ مِنَ الأَشياءِ الَّتِي ولَّتْ وَأنتَهى أمرُها ؛ إِذ أَصبَحَ بَكَ لا يَهتَمُّ إِذا كانَ أَعْضاءُ
فَريقِهِ يَعمَلونَ أو لا ؛ فَهو فَقطُ يَسيرُ مَتَرَنًا إِلى أَنَّ يَسقُطَ مِنَ حِبلِ العِجْرِ وَيَرقُدُ بِلا
حَرَكَاتٍ اِنتِظاراً لِضِرباتِ هالِ الشَّريرةِ ، الَّتِي تَساقُطُ عَلى جَسَدِهِ المُنهَكَ ، فِي مُحاوَلَةٍ
بائِسةَ لِجَلْبِ شَيءٍ مِنَ الحَيَويَّةِ لِهَذا الجَسَدِ .

أَصرَّتْ عَلى أَنَّ تَمَتَّطِي الرُّحافَةَ المَكْدُوسَةَ بِالرَّغمِ مِنَ سُهولَةِ السَّيرِ عَلى المَرِّ ؛ مِمَّا
أَدى إِلى نَعَثِ الكِلابِ وَأَنفِلائِها مِنَ حِبلِ العِجْرِ نَحْتِ وَقَعِ هَذا الثَّقَلِ الإِضافيِّ .
وَفي أَحَدِ الأَيامِ قَرَّرَ تشارلزُ وَهالُ إِزْزالِها بِغِلْظَةٍ وَفِظاظَةٍ ، وَإِذا بِها تَجلِسُ فَوْقَ
الجَلِيدِ وَتَرَفُضُ التَّحَرُّكَ تَماماً إِلى أَنَّ اضطرَّ الرُّجُلانِ إِلى إِعادَتِها لِعرْشِها .

بَدأتِ الكِلابُ نَهْنُ ثُمَّ تَموتُ نَحْتِ نِيرِ الجِرمانيِّ القاسيِ . أَمَّا الكِلابُ السِّتَّةُ
الجَدُّ فَقَدْ كَافَحَتْ بِضِعَّةِ أَيامٍ بَعْدَ اِختِصارِ مُقرَّراتِها العِذائيَّةِ ، بِالإِضافةِ إِلى أَنَّ
الإِصاباتِ القَدِيمَةَ الَّتِي أَهْمِلَ عِلاجَها قَدْ أَصبَحَتْ مِنَ المَعوقاتِ الخَطيرةِ ؛ إِذ لَمْ



ولكن الصياد لم يتحرك، بل استمر مُدافعاً عن بك، فتزايد حنق هال إلى حدّ
أنه استلّ سكينه الطويلة التي يستخدمها للصيد، فأتتبت مرسيدس في الحال حالة
هيسترية، ولكن الصياد ضرب مفصل يد هال في هدوء بعضاً يحملها، فجردّه
من سلاحه قبل أن يخطو خطوة واحدة.

سلم هال بالهزيمة وتنازل للصياد عن بك، ثم أنهض كلابه الأربعة الباقية وأخذ
يجاهد في التقدّم صوب النهر، متجاهلاً تحذيرات الصياد من خطورة عبوره.
رفع بك رأسه متابعاً بصره الرخافة أثناء مرورها أمامه وهي تتمايل على الجليد،

وفي يومٍ من الأيام قرّر بك ألا يستمر، ولم يجد معه العنف التقليدي الذي
يتبعه هال دائماً، وكان ثم أحد صيادي الجلود يلاحظ ذلك الأداء البربري. ولم
يقو الصياد على تحمّل هذا المشهد طويلاً فأنحنى لأسفل ثم قذف بنفسه نحو هال
فطرحه على ظهره.

صرخ الصياد قائلاً: « سأقتلك إذا ضربت هذا الكلب مرة أخرى! »
قال هال مزمجرًا وهو يمسخ الدماء من فمه: « إنه كلبي! ابتعد عن طريقي وألا
عاقبتك! »

وَكَانَ جَالِسًا فِي أَنْتِظَارِ عَوْدَتِهِمْ بِالْقَارِبِ بَعْدَ أَنْ اسْتَعَادَ قُوَّتَهُ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ .

وَقَدْ رَحِبَ بِكَ أَيْضًا بِبَاقِي الْمَجْمُوعَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَفْعَلُ شَيْئًا سِوَى الْاسْتِئْذَانِ
وَالرَّاحَةِ نَحْرَطُهُ رِعَايَةً وَحَنَانًا ثورنتون ، حَتَّى اسْتَرَدَّ قُوَّاهُ بَعْدَ تِلْكَ الشُّهُورِ مِنَ الْكَدِّ
وَالْحَرَمَانِ .

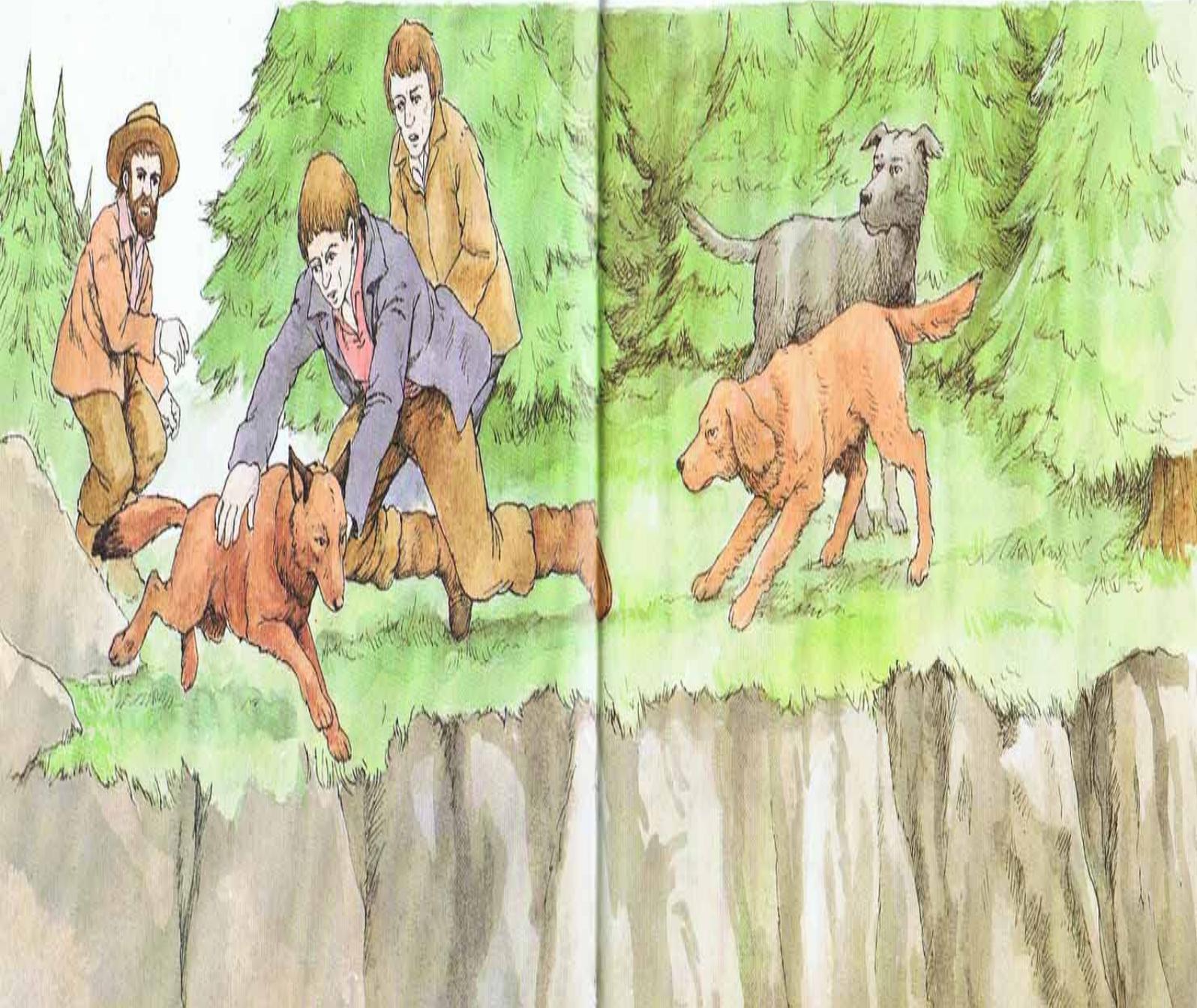
وَلَمْ يَكُنْ يَضَعُ بِكَ يَسْمَحُ لَهُ بِالِاسْتِئْذَانِ مِنْ تَقَدُّمِ كَلْبَيْ ثورنتون الْآخَرَيْنِ
« سَكَيْت » وَ « نَيْغ » ، وَمِمَّا أَثَارَ دَهْشَتَهُ أَنَّهُمَا لَمْ يَنَاصِبَاهُ أَيَّ عَدَاةٍ ، بَلْ تَقَبَّلَا وَجُودَهُ
بَيْنَهُمَا وَأَخَذَا يَلْعَقَانِ جِرَاحَهُ بِلِسَانَيْهِمَا الشَّافِيَيْنِ .

وَسَرَّعَانَ مَا بَدَأَ بِكَ يُحِبُّ مَالِكَةَ الْجَدِيدِ كَمَا لَمْ يُحِبُّ رَجُلًا مِنْ قَبْلُ ، وَرَغِمَ أَنَّهُ

وَإِذَا بَصْرَخَةٌ تَنْطَلِقُ فُجَاءَةً مِنْ مَرْسِدِ ، ثُمَّ اخْتَفَتْ هِيَ وَالرَّحَافَةُ عَنِ الْبَصْرِ ؛ إِذْ
تَصَدَّعَ الْجَلِيدُ تَحْتَهُمْ ، ثُمَّ افْتَدَى الشَّقُّ سَرِيعًا ، وَفِي لِحْظَاتٍ مَعْدُودَاتٍ كَانَتْ
الْكِلَابُ قَدْ اخْتَفَتْ وَاخْتَفَى مَعَهَا كُلُّ مَا هُوَ آدَمِيٌّ دَاخِلَ أَغْوَارِ النَّهْرِ السَّجِيْقَةِ ،
وَلَمْ يَعُودُوا إِلَى السُّطْحِ مَرَّةً أُخْرَى .

نَظَرَ بِكَ وَالصِّيَادُ إِلَى بَعْضِهِمَا وَقَدْ خِيَمَ عَلَيْهِمَا صَمْتٌ مُطْبِقٌ . وَأخِيرًا لَبِقَ بِكَ
يَدَ الرَّجُلِ فِي امْتِنَانٍ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : « أَيُّهَا الشَّيْطَانُ الْمَسْكِينُ ! »

وَكَانَ الصِّيَادُ جُونِ ثورنتون قَدْ تَرَكَهُ أَقْرَانُهُ بِجَانِبِ النَّهْرِ بَعْدَ أَنْ أَعَدُّوا لَهُ وَسَائِلَ
الرَّاحَةِ الْإِلَازِمَةَ ، نَظْرًا لِتَوَقُّفِ أَقْدَامِهِ عَنِ الْحَرَكَةِ مِنْ جِرَاءِ إِصَابَتِهِ بَعْضَةَ الْجَلِيدِ ،



لَمْ يَكُنْ يَسْعَى لِجَذْبِ الْاهْتِمَامِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَتَلَهَّفُ عَلَى كُلِّ لَمْسَةٍ أَوْ كَلِمَةٍ يَقُولُهَا لَهُ ثورنتون . وَقَدْ أَحَسَّ ثورنتون بِنُموِّ الرُّوَابِطِ بَيْنَهُمَا ، وَأَنْتَابَهُ شُعُورٌ بِأَنَّ الْكَلْبَ مُسْتَعِدٌّ لِأَنْ يَفْدِيَهُ بِحَيَاتِهِ ، رَغْمَ أَنَّ بَكَ ظَلَّ بِمَعزِلٍ عَنِ الرُّجَالِ الْآخَرِينَ .

إِلَّا أَنَّ ثورنتون لَمْ يَكُنْ يُدْرِكُ مَدَى عُمُقِ إِخْلَاصِ بَكَ إِلَى أَنْ حَدَّثَ أَنْ أَمْرَهُ ، عَلَى سَبِيلِ الْمَزَاحِ ، أَتْنَاءَ الْجُلُوسِ لِمُرَاقَبَةِ تَدْفُقِ النَّهْرِ ، أَنْ يَقْفِزَ فَوْقَ أَحَدِ الْجُرُوفِ الصَّخْرِيَّةِ . وَأَنْتَابَهُ الْفَزَعُ الشَّدِيدُ حِينَ أَطَاعَ الْكَلْبُ الْأَمْرَ قَوْرًا ، وَوَجَدَ ثورنتون نَفْسَهُ يَتَشَبَّهُ بِحَافَةِ الْجُرْفِ مُحَاوِلًا فِي يَأْسٍ أَنْ يَمْنَعَ بَكَ مِنْ إِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَى الْهَاوِيَةِ ، وَقَدْ اسْتَوْعَبَ ثورنتون هَذَا الدَّرْسَ تَمَامًا ، وَلَمْ يَعْذُ يُصْدِرْ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا عَلَى سَبِيلِ الْمَزَاحِ .

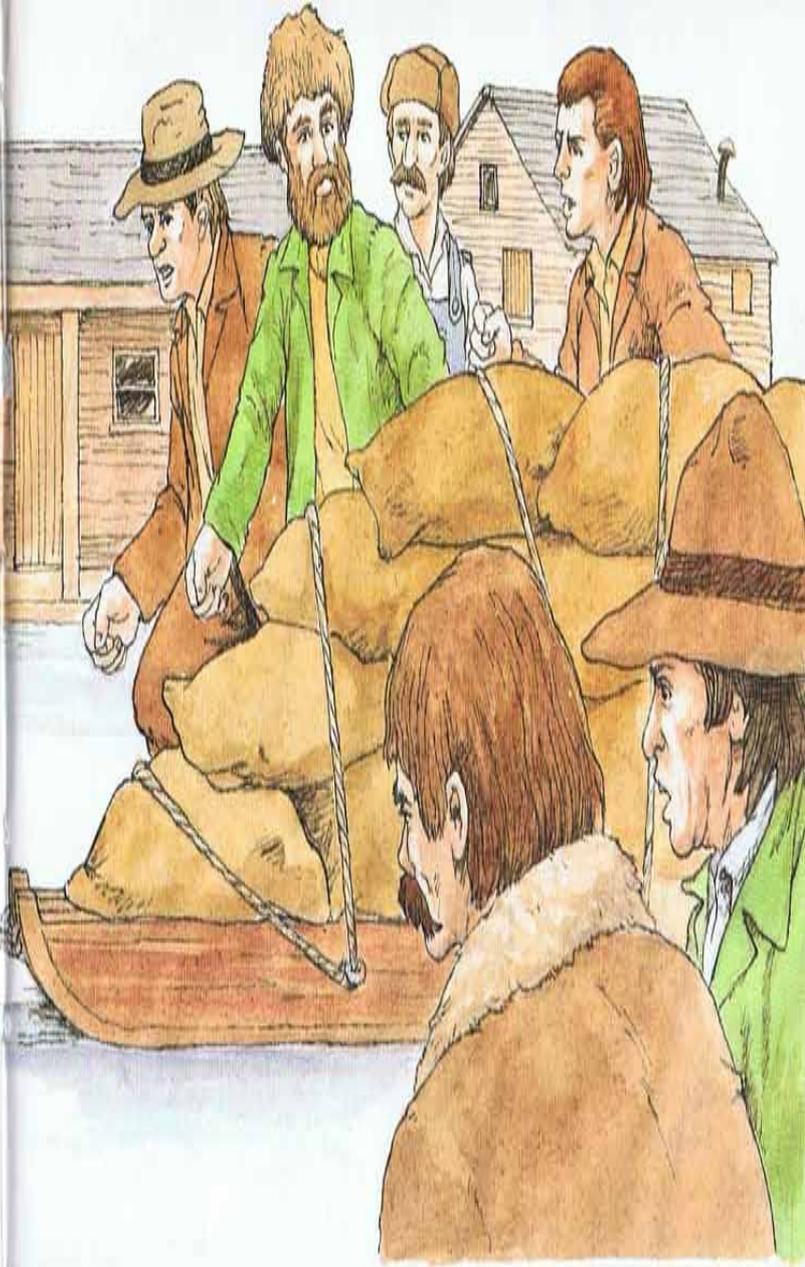
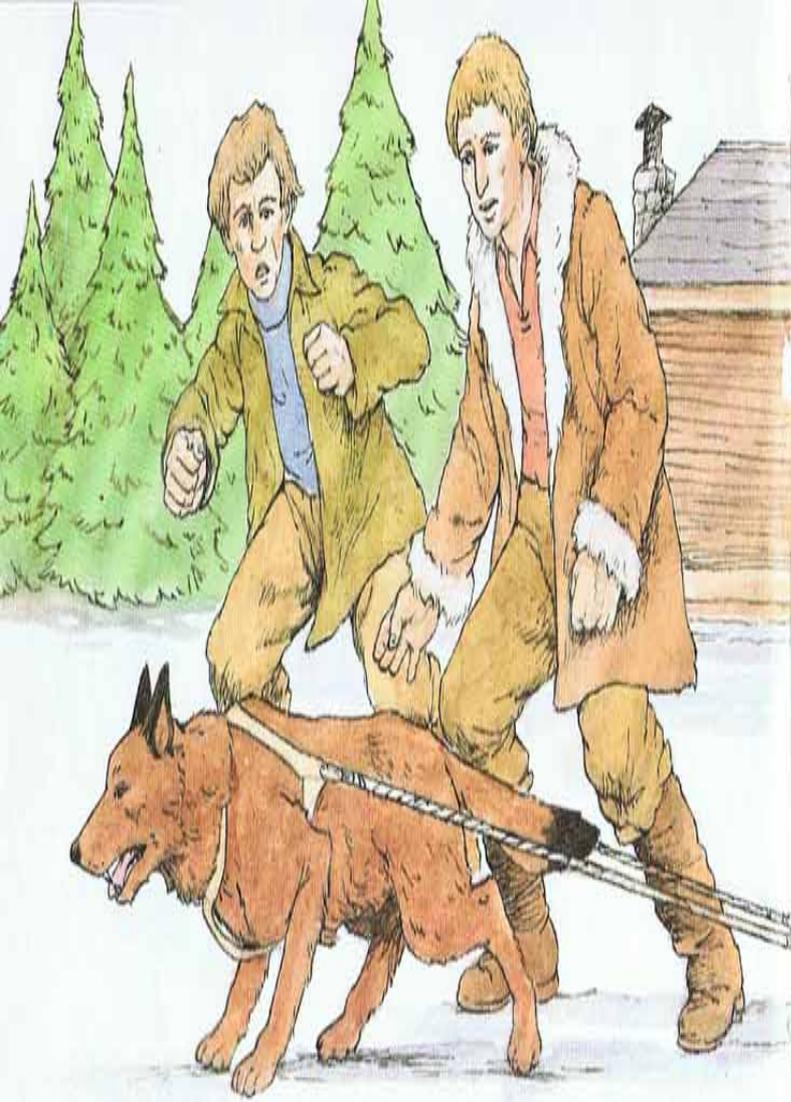
مَا إِنْ عَادَ زَمَلَاءُ ثورنتون حَتَّى رَكِبَتِ الْمَجْمُوعَةُ بِأَكْمَلِهَا الْقَارِبَ مُتَوَجِّهِينَ إِلَى مَقَرِّ الْأَعْمَالِ الصَّيْفِيَّةِ فِي مَصْنَعِ نَشْرِ الْخَشَبِ ، وَسَرَّعَانَ مَا أَثْبَتَ بَكَ أَنَّهُ قَدْ شَفِيَ تَمَامًا مِنْ مِحْنَتِهِ الْأَخِيرَةِ ؛ حَيْثُ سَاهَمَ بِجَهْدٍ لَا بَأْسَ بِهِ فِي تَخْفِيفِ الْعَمَلِ عَنِ كَاهِلِ الرُّجَالِ مِنْ خِلَالِ الْمُسَاعَدَةِ فِي جَذْبِ الْكُتْلِ الْخَشَبِيِّ وَالْمُؤْنِ .

وَأَشْهُرَ وِلَاءِ بَكَ لِثورنتون بَيْنَ عُمَالِ رَفْعِ الْكُتْلِ الْخَشَبِيِّ ، بَعْدَ أَنْ حَدَّثَ وَتَجَرَّأَ أَحَدُ الرُّجَالِ وَهَاجَمَ ثورنتون فِي وُجُودِ بَكَ ، وَكَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَدْفَعَ حَيَاتَهُ ثَمَنًا لِهَذَا التَّهَوُّرِ ، فِي حِينَ أَصْبَحَ الْكَلْبُ يُعَامَلُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي حِرْصٍ بِالِغِ .

كَذَلِكَ تَزَايَدَ احْتِرَامُ الرُّجَالِ لِبَكَ حِينَ قَامَ بِإِنْقَادِ ثورنتون بَعْدَ انْقِلَابِ قَارِبِهِ فِي الْجُزْءِ الْوَاسِعِ مِنْ مَجْرَى النَّهْرِ ، وَكَانَ بَكَ وَاقِفًا عَلَى ضِفَّةِ النَّهْرِ يُتَابِعُ فِي قَلْبِهِ تَقَدُّمَ سَيِّدِهِ خِلَالَهُ . وَفِي اللَّحْظَةِ الَّتِي تَعَرَّضَ فِيهَا الْقَارِبُ لِلْمَشَاكِلِ أَسْرَعَ بَكَ بِالْقَفْزِ إِلَى النَّهْرِ الَّذِي كَانَ يَمُوجُ بِالدُّوَامَاتِ ، وَخِلَالِ بَضْعِ ثَوَانٍ كَانَ بَكَ إِلَى جِوَارِ ثورنتون ؛ فَأَمْسَكَ الرَّجُلُ بِذَيْلِ الْكَلْبِ فِي اسْتِمَاتَةٍ ، وَلَكِنَّهُ عَجَزَ عَنِ مُقَاوَمَةِ التِّيَّارِ الَّذِي أَلْقَى بِهِ بِلا هَوَادَةٍ فِي اتِّجَاهِ الشَّلَالِ حَيْثُ الْهَلَاكُ الْمُحَقَّقُ .

وَاضْطَرَّ بَكَ إِلَى الْعُودَةِ لِضِفَّةِ النَّهْرِ خُضُوعًا لِإِلْحَاحِ ثورنتون فَقَطُّ ، وَلَكِنْ مَا إِنْ قَامَ أَحَدُ الرُّجَالِ بِرَبْطِ حَبْلِ حَوْلَ أَطْرَافِ بَكَ الْأَمَامِيَّةِ حَتَّى أَسْرَعَ بِالْعُودَةِ إِلَى





منه إنبائه فوراً . وفي الحال قام ثورنتون بإعداد بكٍ بجهازِ الجرِّ المناسبِ استعداداً لجرِّ تلكِ الحمولةِ الرهيبةِ ، ووقفَ المتفرجونَ وقد حَسبوا أنفاسَهُم أثناءَ إصدارِ ثورنتون لأوامره .

ألقى بكٍ بنفسه نحو اليمينِ ثمَّ اليسارِ ليُحطِّمَ الثلجَ الذي يُحيطُ بِزلاقاتِ الرِّحافةِ . وما إنَّ صدرَ أمرُ ثورنتون حتى قَدَفَ بنفسه للأمامِ في مواجهةِ الأحملةِ التي تُحيطُ بِصدره ، بكلِّ ما يملكُ من قوَّة . وفي البداية ظلتِ الرِّحافةُ بلا حركةٍ ، ولكنها بدأتْ تَرَحُّفُ للأمامِ تدريجياً ، ثمَّ أخذتْ تَجري بعدَ ذلكِ في سهولةٍ . وساعَ الهرجُ والمرجُ في أرجاءِ المعسكرِ ؛ إذ إنَّ أحداً لم يرَ مثلَ هذا

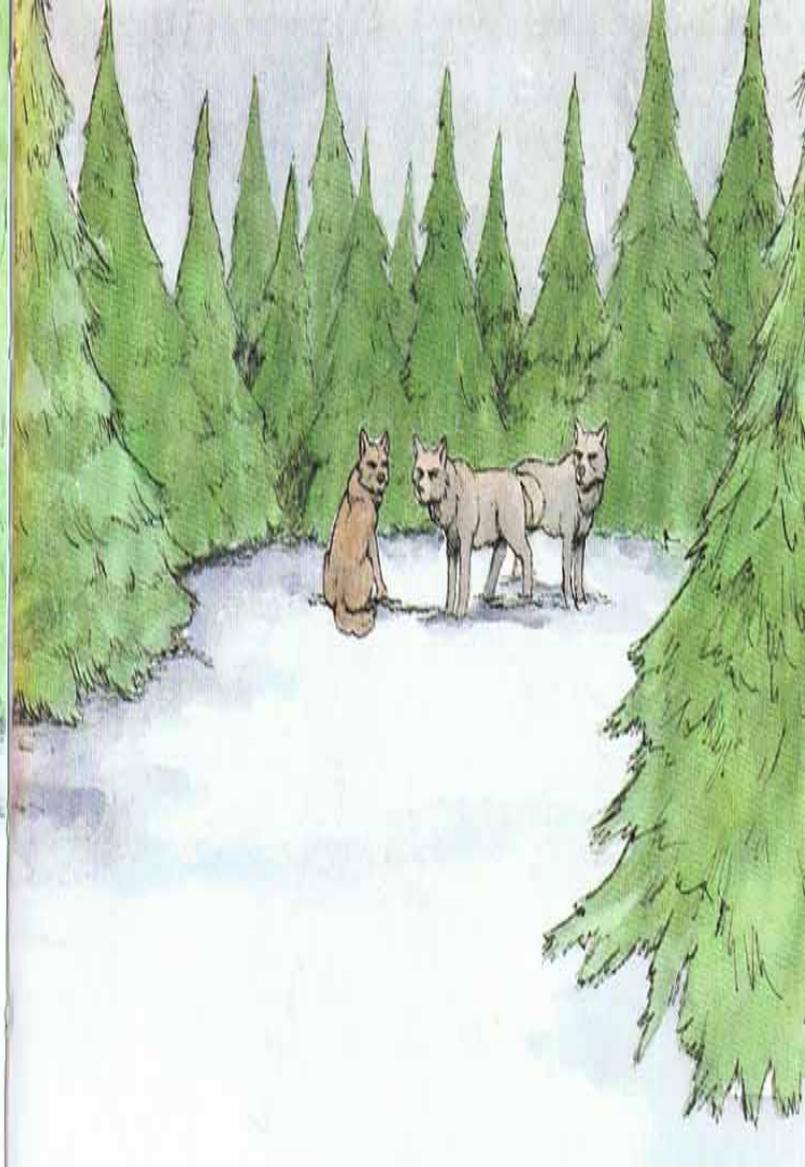
النَّهرِ ، وألقى بكٍ بنفسه في تيارِ النَّهرِ الهائجِ ، وأوشكَ على الغرقِ في المحاولةِ الثالثةِ لولا صرخاتُ سيِّده التي دفعتهُ للنضالِ من أجلِ الحياةِ ، فتخطى المحنةَ وجذبَ ثورنتون الذي تعرَّضَ للطِّماتِ شديدةٍ ، وأعادَهُ إلى الشاطئِ .

سرَّعانَ ما ذاعتْ أنباءُ بكٍ الباهرةِ . وفي إحدى الأمسياتِ واجهَ ثورنتون تحدِّياً لإثباتِ أنَّ الكلبَ بالفعلِ غيرُ عاديٍّ ، كما يُشاعُ عنه ، وأنَّ هذهِ القصصُ ليستْ مجردَ أسطورةٍ . وكان ثورنتون يشعرُ بحتيِّ شديدٍ من هذا الاستخفافِ بكلِّهِ المفضلِّ ؛ فأعلنَ أنَّ بكٍ يستطيعُ أن يجذبَ حمولةَ تزنُ أكثرَ من ٥٠٠ كيلوغراماً فوقَ زحافةٍ قد جليدهُ حولها الثلجُ . وقد قوبِلَ هذا الأمرُ باستخفافٍ واضحٍ ، وطلبَ



الذي كان يُقيمه بجانب النار والدّفء.

وفي إحدى الليالي لحق بالذئب فعلاً؛ إذ جذبته نداؤها، وبعد أن حدثت بعض المقدمات العذوانية تقبلت وجوده واحداً منها، ولم يمتكث معها في هذه المرة طويلاً، ولكنه بدأ يتردد عليها بعد ذلك مراراً وبانتظام، مستمتعاً بتلك



الكلب العجيب من قبل، وإذا بالجميع يعرضون شراء بك، ولكن ثورتون تجاهل كل تلك العروض؛ فقد كان كل اهتمامه موجهاً إلى بك. وجلس إلى جوار الكلب والدموع تنساب على خديه وهو يهزه للخلف وللأمام بأسلوبهما المعتاد للمداعبة معاً؛ فاستجاب بك، كما كان يفعل دائماً، بالتقاط كف الرجل بين أسنانه والحب بظلم من عينيه.

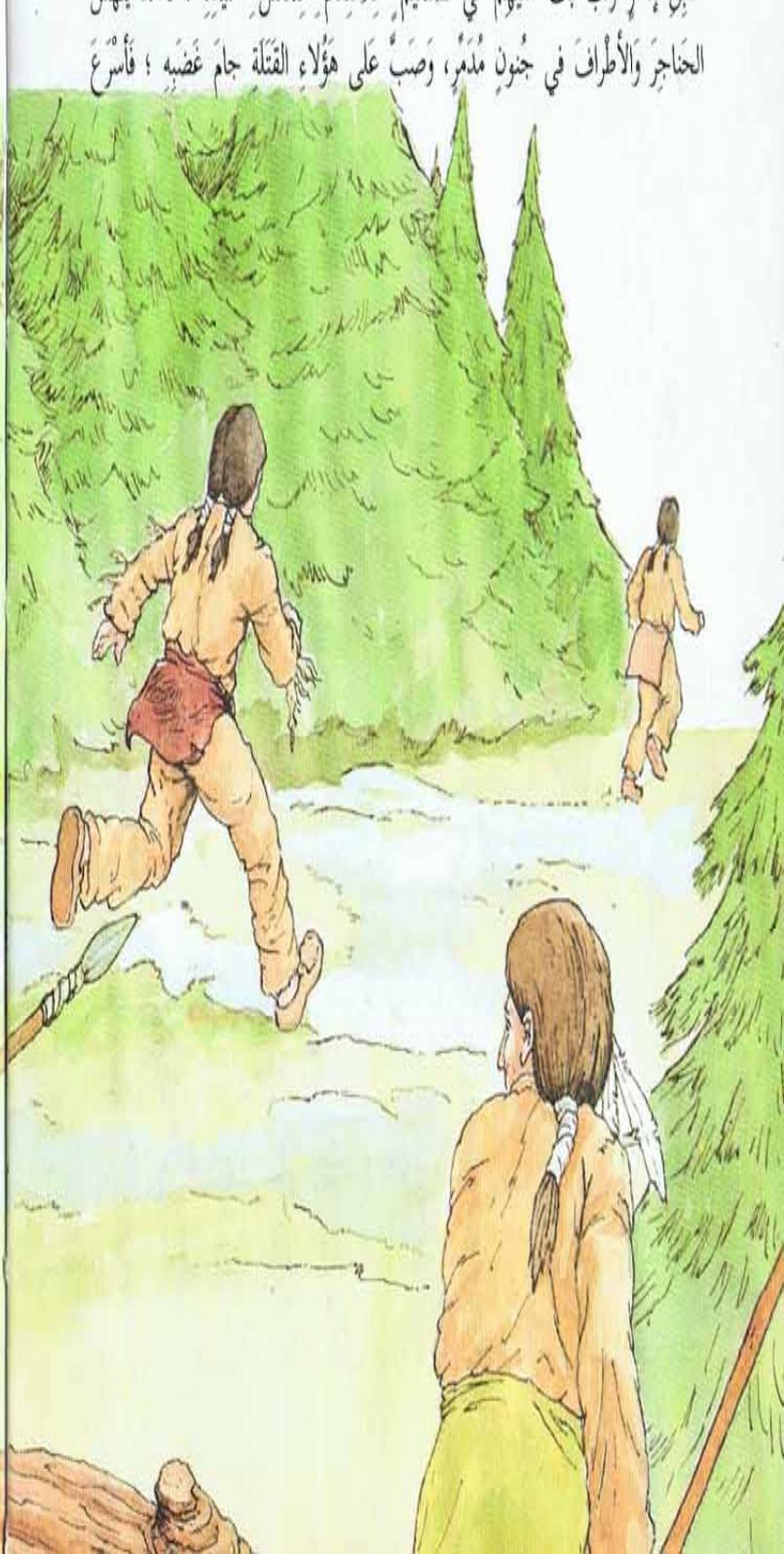
كان بك يشعر بسعادة غامرة مع ثورتون، ولكن في بعض الأحيان كان يتأبه توتر طاع، وتجتاحه رغبات غريبة لأن يجوس خلال الريف المترامي الأطراف. وكان يشعر بالقلق خاصة عندما يسمع عواء الذئب عن بعد؛ لاستيقاظه إلى اللحاق بها ليعيش حياة بريئة يكون فيها حرّاً كما كان أجداده من قبل. وبدأ هذا الدافع ينمو داخله منذ أن وطئت أقدامه أرض الشمال لأول مرة، ولكن حبه لثورتون هو

الهنود بالفرار وهم في ذهول رهيب من وجود هذا النوع من الوحوش ، والذي لم يسبق لهم أن شاهدوا مثله قط .

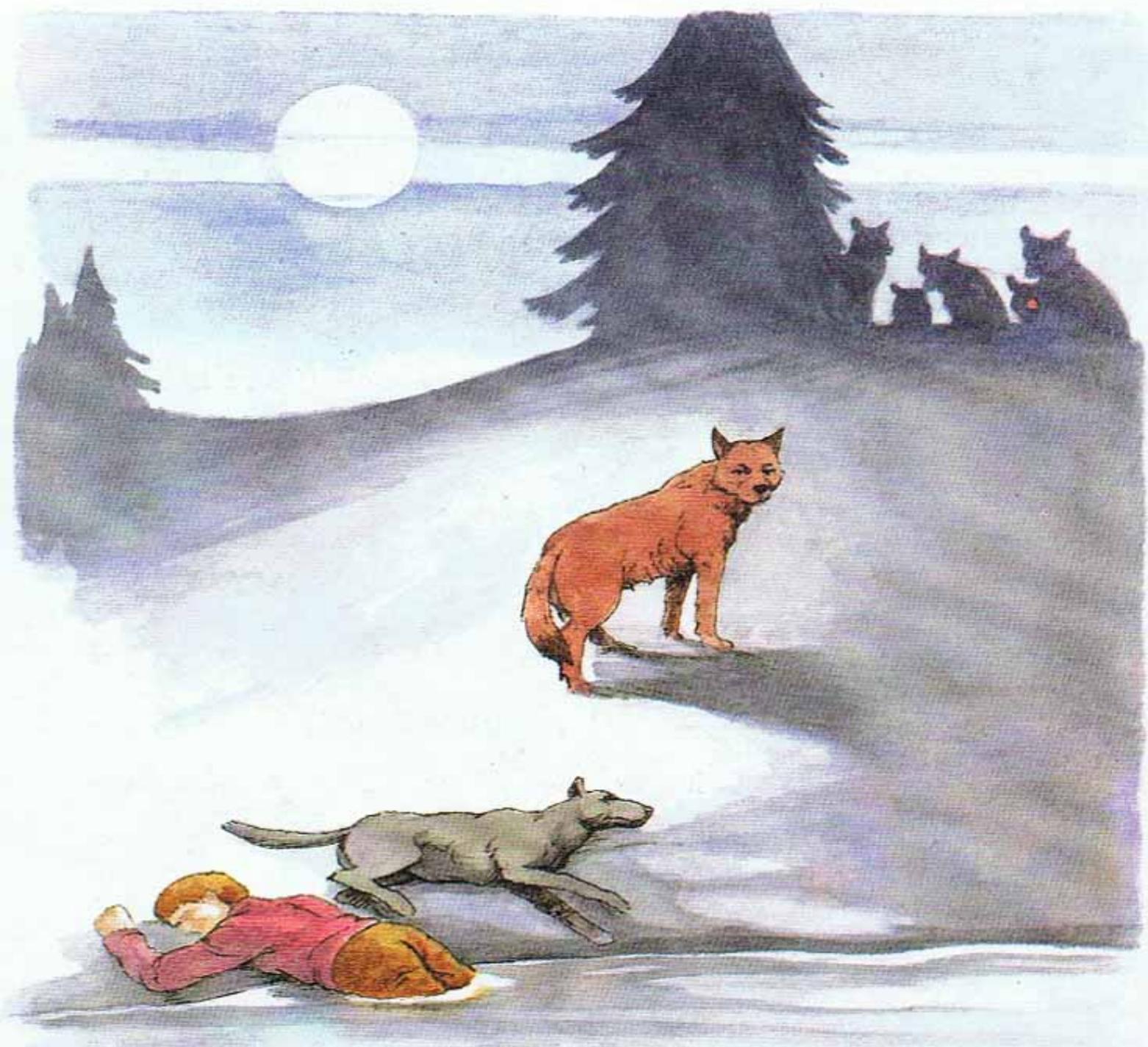
وفي النهاية لم يعد هناك سوى بك في المعسكر ، يتنقل في حزن بين ذلك الدمار الذي كان في يوم من الأيام مأوى له ، وهو يتلمس أي أثر لسيده . وأخيراً وجد سيده ممدداً في بركة مياه عميقة وبجانبه كلبه الثالث يرقد ميتاً في إخلاص لسيده حتى النهاية ، فأرتمى بك بجانبهما كسير القلب ، وأعد نفسه للسهر وحيداً .

الشهوة الوحشية التي تكمن في عمليات الصيد والقتل التي تقوم بها . وعاد إلى المعسكر على أثر إحدى تلك الرحلات وهو يشعر بتوتر مفاجئ ، وتأكدت شكوكه عندما خطا بضع خطوات خلال الأشجار ، وصادف أحد كلاب ثورنتون يرقد مطعوناً بسهم نافذ . وما إن وصل بك إلى حافة المعسكر حتى نلقى الصدمة الكبرى .

لم يكن بالمعسكر أي أثر للحياة ؛ فقد أغارت عليه مجموعة من الهنود من قطاع الطرق ، ولم يكن هناك سواهم . وكانوا يرقصون وهم في قمة مرحهم . وبدون سابق إنذار وثب بك عليهم في تصميم للانتقام لمقتل سيده ، فأخذ ينهش الحناجر والأطراف في جنون مدمر ، وصب على هؤلاء القتلة جام غضبه ؛ فأسرع



وَبَيْنَمَا هُوَ فِي حَالَتِهِ هَذِهِ إِذَا بِهِ يَسْمَعُ عَن بُعْدِ عَوَاءِ أَحَدِ الذَّنَابِ . وَتَبَيَّنَ أَخِيرًا أَنَّهُ
 لَمْ يَعْذُ مُرْتَبِطًا بِالْإِنْسَانِ ؛ فَوَثَبَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الصَّوْتِ بَعْدَ أَنْ تَوَقَّفَ لِحِظَّةٍ
 لِإِلْقَاءِ نَظْرَةٍ وَدَاعٍ أَخِيرَةٍ عَلَى الرَّجُلِ الْوَحِيدِ الَّذِي أَحَبَّهُ . وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ انْضَمَّ
 بَكَ وَوَلَّابِدٍ إِلَى مَجْمُوعَةِ الذَّنَابِ . وَكَانَ يُرَى بَعْدَ ذَلِكَ وَهُوَ يَقُودُ الْمَجْمُوعَةَ خِلَالَ
 تَجْوَالِهَا عَبْرَ الْأَرْضِ الْقَاحِلَةِ ، وَقَدْ أَصْبَحَ حُرًّا فِي النِّهَائَةِ بَعْدَ مَا لَبَّى نِدَاءَ الْبَرَارِيِّ .



المؤلف

وُلِدَ جاك لندن في يناير عام ١٨٧٦ في سان فرانسيسكو بكاليفورنيا ، وكانَ يَحْمِلُ اسْمَ جون غريفيث شاني . وَعِنْدَ مَوْلِدِهِ كَانَتْ وَالِدَتُهُ قَدْ انفَصَلَتْ عَن وَالِدِهِ ، ثُمَّ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ تَزَوَّجَتْ جون لندن عِنْدَمَا بَلَغَ ابْنُهَا مِنَ العُمُرِ ثَمَانِيَةَ شُهُورٍ .



وَكَانَتْ الرِّوَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ تُعَانِي فِي ذَلِكَ الوَقْتِ مِنْ كَسَادٍ اِقْتِصَادِيٍّ حَادٍّ ، وَكَانَتْ عَائِلَتُهُ جون لندن لا تَكَادُ تَتَخَطَّى مُسْتَوَى الفَقْرِ المُدْقِعِ بِقَلِيلٍ .

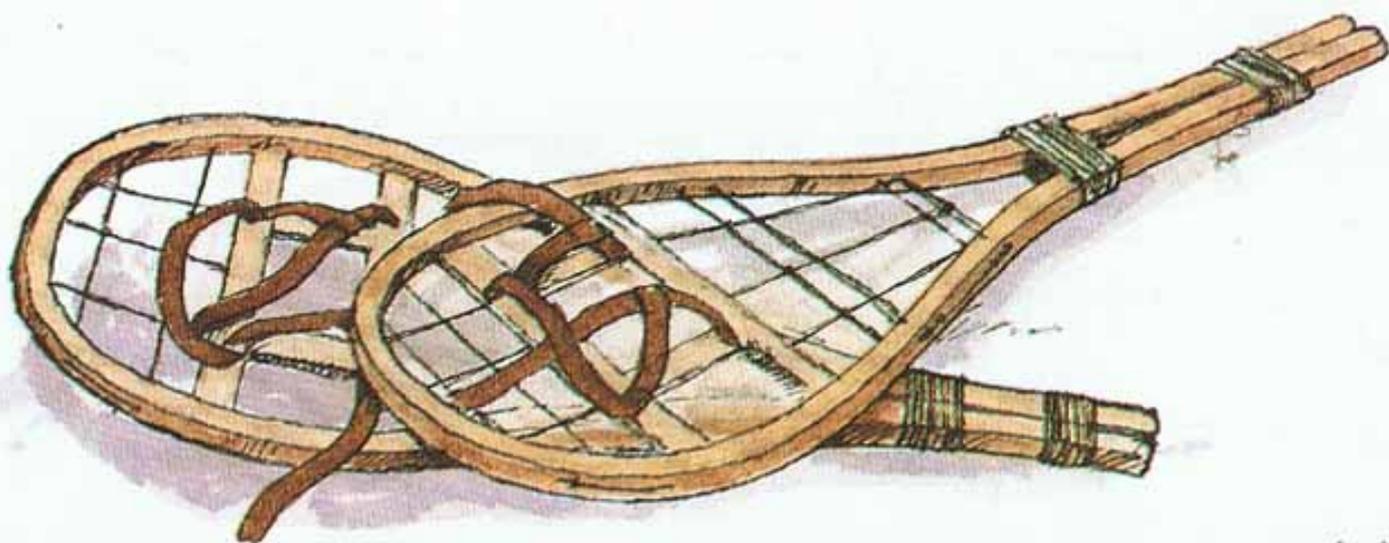
وَقَدْ تَنَقَّلَتِ الأُسْرَةُ مَا يَقْرُبُ مِنْ خَمْسِ مَرَّاتٍ خِلَالَ السَّنَوَاتِ السَّبْعِ التَّالِيَةِ ، حَيْثُ كَافَحَ جون لندن وَمَارَسَ مِهْنًا مُخْتَلِفَةً فِي مَجَالِ الزَّرَاعَةِ وَالبَّيْعِ بِالتَّجَرِّئَةِ ، إِلَى أَنْ اسْتَقَرَّتِ الأُسْرَةُ أُخِيرًا فِي أوكْلاند بكاليفورنيا .

وَهُنَاكَ بَدَأَ جاك لندن دِرَاسَتَهُ وَلَكِنَّ زَوْجَ وَالِدَتِهِ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ أُصِيبَ فِي حَادِثِ قِطَارٍ ، وَكَانَ عَلَى جاك أَنْ يَبْدَأَ فِي السَّعْيِ لِلْحُصُولِ عَلَى النُّقُودِ وَتَوْفِيرِهَا لِالأُسْرَةِ ، فَمَارَسَ كُلَّ أنواعِ المِهْنِ لِلْحُصُولِ عَلَى أَيِّ مَكْسَبٍ مُمَكِّنٍ . وَمَا إِنْ بَلَغَ سِنَ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ حَتَّى اضْطُرَّ لِتَرْكِ الدِّرَاسَةِ لِیَلْتَحِقَ بِالعَمَلِ فِي مَصْنَعٍ لِلْمُخَلَّاتِ . وَكَانَتْ تِلْكَ المِهْنَةُ هِيَ تَجَرِّبَتُهُ الأُولَى مَعَ العَمَلِ اليَدَوِيِّ المُجْهِدِ وَالْمُضْنِي ، حَيْثُ كَانَ یَعْمَلُ عَشْرًا أَوْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَاعَةً یَوْمِيًّا مُقَابِلَ أَجْرِ قَدْرِهِ عَشْرَةَ سِنْتَاتٍ فِي السَّاعَةِ . وَقَدْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ النَّاسَ الذِّينَ یُصِيبُهُمُ الفَقْرُ یَكُونُ مُقَدَّرًا عَلَیْهِمُ العِیْشُ فِي مُعَانَاةٍ مَهْمَا كَانَتْ خِصَالُهُمْ . وَقَدْ صُدِمَ لَدَى مَعْرِفَتِهِ بِمَدَى الثَّرَاءِ وَالأَمْتِیَازَاتِ الَّتِي

يَجْنِيهَا أَصْحَابُ الْمَصْنَعِ مِنْ كَدِّ عَمَالِهِمْ . وَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْبِدَايَةُ بِالنَّسْبَةِ
لِاتِّجَارَاتِهِ الْأَشْتِرَاكِيَّةِ الَّتِي اعْتَنَقَهَا طَوَالَ حَيَاتِهِ ، وَالَّتِي دَعَّمَتْهَا سِلْسِلَةٌ مِنَ الْمِهْنِ
الْمُضْنِيَّةِ وَالْمُهَيَّنَةِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ . نَشَأَ جَاكُ صَبِيًّا وَاضِحَ النَّشَاطِ ، وَسَرَّعَانَ مَا عَلِمَ
أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ مِنْ خِلَالِ مَجْهُودَاتِهِ هُوَ فَقَطُ أَنْ يَتَجَنَّبَ مُسْتَقْبَلًا مُظْلِمًا .

ثُمَّ بَدَأَ دَخْلُهُ فِي التَّحَسُّنِ وَهُوَ فِي سِنِّ السَّابِعَةِ عَشْرَةَ ، وَإِنْ كَانَ دَخْلًا غَيْرَ
مَشْرُوعٍ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَرَبِّحُهُ مِنْ خِلَالِ الْإِغَارَةِ عَلَى تَجْمَعَاتِ مَحَارَاتِ اللَّوْلُؤِ فِي خَلِيجِ
سَانَ فِرَانْسِيْسِكُو . وَهُنَاكَ عَاشَ حَيَاةَ طَائِثَةٍ مُشَاغِبَةٍ ، ثُمَّ أَبْحَرَ لِلْيَابَانِ ضِمْنَ طَاقِمِ
بَحَّارَةِ إِحْدَى السُّفُنِ . وَقَدْ أَمْضَى مَا يَقْرُبُ مِنَ الْعَامِ وَهُوَ يَجُوبُ أَنْحَاءَ الْوِلَايَاتِ
الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ سِيرًا عَلَى الْأَقْدَامِ ، حَتَّى إِنَّهُ سَجِنَ لِمُدَّةِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا بِسَبَبِ النَّوْمِ
فِي أَحَدِ الْحُقُولِ بِشَلَّالَاتِ نِيَاغِرَا . وَعِنْدَمَا عَادَ إِلَى كَالِيْفُورْنِيَا اسْتَطَاعَ الْحُصُولَ عَلَى
مَكَانٍ فِي جَامِعَتِهَا ، الْأَمْرُ الَّذِي يُعَدُّ إِتْجَارًا ضَخْمًا بِالنَّسْبَةِ لِشَخْصٍ تَلَقَّى تَعْلِيمًا
مَحْدُودًا ، إِلَّا أَنَّهُ اضْطُرَّ إِلَى الْإِنْسِحَابِ قَبْلَ انْقِضَاءِ عَامِهِ الْأَوَّلِ فِي الْجَامِعَةِ ؛ بِسَبَبِ
الْمَشَاكِلِ الْمَادِيَّةِ الْمُسْتَمِرَّةِ لِأُسْرَتِهِ .

وَهَكَذَا عَادَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْعَمَلِ الْيَدَوِيِّ وَلَكِنْ فِي إِحْدَى الْمَغَاسِلِ هَذِهِ الْمَرَّةَ .
وَفِي عَامِ ١٨٩٧ انْطَلَقَ إِلَى شِمَالِ كَنْدَا الْمَتَّجَمِدِ بَحْثًا عَنِ الذَّهَبِ ، ضِمْنَ الْعَدِيدِ
مِمَّنْ تَدَفَّقُوا عَلَى مِنتَظِقَةِ كَلُونْدِيكِ لِهَذَا الْعَرَضِ وَلَكِنَّهُ عَادَ بَعْدَ عَامٍ مَرِيضًا وَمَعَهُ



الْقَلِيلُ مِنَ الذَّهَبِ ، وَلَكِنَّهُ أَيْضًا كَانَ يَحْمِلُ رَصِيدًا مِنَ الْمَعْلُومَاتِ أَتَّاحَ لَهُ فُرْصَةً
الْبَدءِ فِي الْكِتَابَةِ .

وَبَعْدَ مَجْهُودَاتٍ لَا بَأْسَ بِهَا مِنْ جَانِبِهِ ، بِالإِضَافَةِ لِلْأَعْمَالِ الْعَدِيدَةِ الَّتِي
رَفِضَتْ ، اسْتَطَاعَ جَاكُ لَنْدُنَ فِي عَامِ ١٨٩٩ أَنْ يَنْجَحَ فِي نَشْرِ قِصَصِهِ الْقَصِيرَةِ
بِإِنْتِظَامٍ ، فِي مَجَلَّةِ « أَوْفِرْلَانْدِ الشُّهُرِيَّةِ » . وَكَانَ نَجَاحُ جَاكُ سَرِيعًا وَمَلْحُوظًا بِالنِّسْبَةِ
لِشَخْصِ عِصَامِيٍّ عَلَّمَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى دِرَايَةٍ كَافِيَةٍ بِعَالَمِ النُّشْرِ .
وَبَعْدَ مُرُورِ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ وَمَعَ نَشْرِ رِوَايَتِهِ « نِدَاءُ الْبَرَارِيِّ » فِي عَامِ ١٩٠٣ اِكْتَسَبَ
جَاكُ شُهْرَةً عَالَمِيَّةً ذَائِعَةً الصَّيِّتِ .

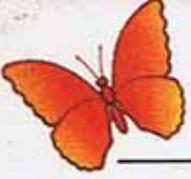
وَقَدْ تَمَيَّزَتِ السَّنَوَاتُ الثَّلَاثُ عَشْرَةَ الْآخِرَةُ مِنْ حَيَاتِهِ بِتَحَسُّنِ مَلْحُوظٍ فِي أَحْوَالِهِ
الْمَالِيَّةِ ، بِالإِضَافَةِ إِلَى نَشَاطِهِ الْأَدْبِيِّ الْغَزِيرِ ، حَيْثُ كَانَ يَحْيَا حِينئِذٍ حَيَاةَ زَوْجِيَّةٍ سَعِيدَةٍ
مَعَ زَوْجَتِهِ الثَّانِيَةِ (حَيْثُ كَانَ زَوَاجُهُ الْأَوَّلُ فِي عَامِ ١٩٠٠ مَأْسَاةً) .

وَقَدْ أَلْقَى جَاكُ الْخُطْبَ فِي كُلِّ أَنْحَاءِ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ ، كَمَا
قَامَ بَعْدَهُ رِحَالَاتٍ جَرِيئَةً تَتَطَلَّبُهَا كُتُبُهُ ، وَأَدَارَ أَيْضًا مَزْرَعَةً نَاجِحَةً لِتَرْبِيَةِ الْعُجُولِ ،
وَعَمِلَ كَذَلِكَ مُرَاسِلًا حَرْبِيًّا ، وَكَتَبَ تِسْعَةَ عَشَرَ كِتَابًا فِي الْقِصَّةِ الْقَصِيرَةِ ،
بِالإِضَافَةِ لِسِتَّةِ كُتُبٍ فِي الْمَقَالَاتِ وَثَلَاثِ مَسْرَحِيَّاتٍ ، وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ رِوَايَةً ،
كَانَ مِنْ أَشْهَرِهَا « نِدَاءُ الْبَرَارِيِّ » ، وَ « النَّابُ الْأَبْيَضُ » ، وَ « ذُبُّ الْبَحْرِ » .

وَقَدْ تُوُفِّيَ جَاكُ لَنْدُنَ فِي نَوْفَمْبَرِ ١٩١٦ ، وَرَغْمَ أَنْ حَيَاتَهُ كَانَتْ قَصِيرَةً إِلَّا أَنَّ
مُعْظَمَ الْمُعْلِقِينَ ذَكَرُوا أَنَّهُ قَدَّمَ خِلَالَ حَيَاتِهِ الْقَصِيرَةِ - الَّتِي بَلَغَتْ أَرْبَعِينَ عَامًا
فَقَطْ - أَكْثَرَ مِمَّا يُنْتِجُهُ ثَلَاثَةُ مُؤَلِّفِينَ .

كتب الفراشة - القصص العالمية

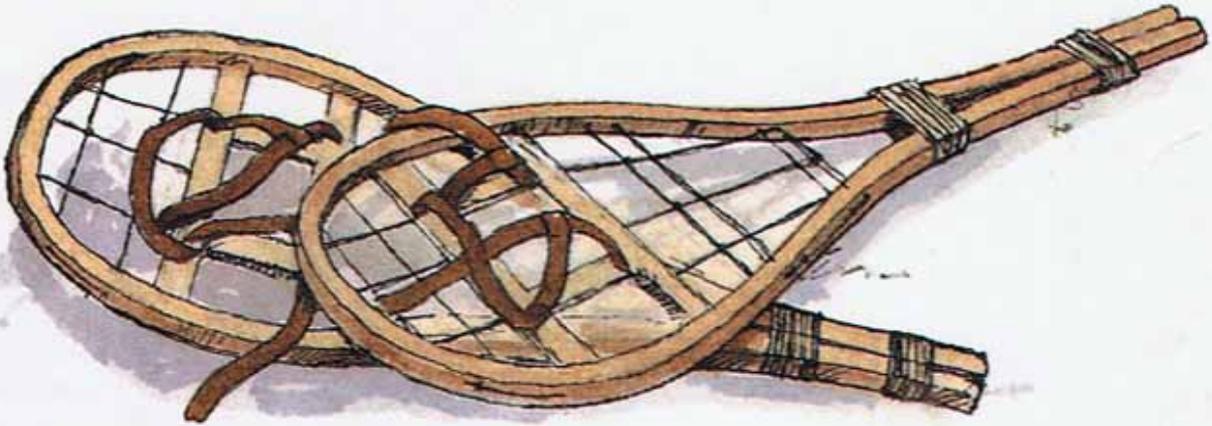
- | | |
|-----------------------------|--------------------|
| ١ - الدكتور جيكل ومستر هايد | ٧ - شبح باشكرزفيل |
| ٢ - أوليفر تويست | ٨ - قصة مدينتين |
| ٣ - نداء البراري | ٩ - مونفليت |
| ٤ - موبي دك | ١٠ - الشباب |
| ٥ - البحار | ١١ - عودة المواطن |
| ٦ - المخطوف | ١٢ - الفندق الكبير |



كتب الفراشة

القِصص العالَمِيَّة ٣. نِداء البَراري

اخْتَارَت مَكْتَبَةُ لِبْنَانَ نَاشِرُونَ أَرْوَعَ الْقِصَصِ الْعَالَمِيَّةِ ، وَنَقَلَتَهَا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ مُبَسَّطَةً ، مُرَاعِيَةً الْأَمَانَةَ فِي النَّقْلِ وَالْمُحَافَظَةَ عَلَى جَزَالَةِ الْأُسْلُوبِ الْعَرَبِيِّ وَبِلَاغَتِهِ ، مَعَ تَشْكِيلٍ كَامِلٍ وَضَبْطٍ دَقِيقٍ . وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى هَذِهِ السَّلْسَلَةِ خُبْرَاءُ دَائِرَتِي النِّشْرِ وَالْمَعَاجِمِ فِي مَكْتَبَةِ لِبْنَانَ نَاشِرُونَ حَتَّى نُوفِّرَ لِلْقَارِئِ الْعَرَبِيِّ إِنتَاجًا فِكْرِيًّا مُتَفَوِّقًا مَظْهَرًا وَمَضْمُونًا .



مَكْتَبَةُ لِبْنَانَ نَاشِرُونَ



01C196803